

الحروف الفرعية المستحسنة دراسة وصفية

د. علي بن عبدالله القرني

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، أمّا بعد:

فَتُعَدُّ الأصوات اللَّبَنَاتُ الأولى لتكوين الكلمات؛ لذا كان جديراً أن تظهر العناية بها في جوانبها المختلفة، وخواصّها المتنوّعة من مخرج وصفة، وما يقوم به الجهاز النطقيّ من جهود عضليّة مصاحبة لإنتاج الصّوت؛ يقول الجاحظ: "الصّوت هو آلة النطق والجوهر؛ الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان كلاماً موزوناً، ولا منظوماً، ولا منثوراً، إلا بظهور الصّوت"^(١).

ومن هنا جاءت عناية العلماء بدراسة الأصوات اللّغويّة، ورصدها في أحوالها المختلفة من حيث أصولها وفروعها، جيّدتها وردئتها، مخارجها وصفاتها، وتمازجها وغيرها من الأصوات، وأثر ذلك في بنية الكلمة.

وجاءت هذه الدّراسة لتلقي الضّوء على الفروع المستحسنة، ورصدها في جوانبها المختلفة، واقتضت طبيعة الموضوع أن يُسَبَقَ بتمهيد عرضت فيه مفهوم الحروف الفرعيّة وأنواعها من حيث الاستحسان والاستقباح، وموقف العلماء منها. ثمّ تحدّثت عن كلّ حرف من الحروف الفرعيّة المستحسنة في مبحث مستقل.

وجاء ترتيب هذه المباحث على النّحو التّالي:

المبحث الأوّل: النّون الخفيّة.

المبحث الثّاني: ألف التّفخيم.

المبحث الثّالث: ألف الإمالة.

المبحث الرّابع: همزة بين بين.

المبحث الخامس: الشّين التي كالجيم.

المبحث السادس: الصّاد التي كالزّاي.

المبحث السابع: اللام المخّمة.

المبحث الثامن: الرّاء المرقّقة.

المبحث التاسع: الياء التي كالواو.

المبحث العاشر: الواو التي كالياء.

أمّا عن المنهج الذي سرت عليه في هذه الدّراسة فهو المنهج الوصفي؛ حيث تتبّعت جهود العلماء في وصف هذه الحروف، ووجدتها موزّعة في كتب اللّغة، والقراءات، والتّفسير، والأصوات، وعزوت هذه الحروف لأصحابها من القبائل العربيّة النّاطقة بها.

ولا يسعني هنا إلا أن أتوجّه بالشّكر الجزيل لكلّ من قدم يد العون لإتمام هذا البحث سائلا المولى - عزّ وجل - التّوفيق للجميع، والحمد لله أوّلا وآخرا.

التمهيد: مفهوم الحروف الفرعية وأنواعها

الفرع في اللغة: ما تفرّع من أصله، والجمع فروع، ومنه يُقال: فرّعت من هذا الأصل مسائل فتفرّعت^(١).

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في مفهوم الحرف الفرعي؛ حيث ذهب مكّي بن أبي طالب القيسي إلى أنّ الحرف الفرعيّ حرف متوسّط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه^(٢)؛ أي: أنّه متولّد من امتزاج الحرفين الأصليين^(٣).

غير أنّ هذا المفهوم لا ينطبق على كلّ الحروف الفرعية التي ذكرها العلماء؛ كالنون الخفية مثلاً؛ حيث لم تكن متولّدة عن امتزاج حرفين، وإنّما اختلف مخرجها؛ ولعلّ ذلك ما جعل ابن يعيش يقصر الحرف الفرعيّ على اختلاف المخرج عن الحرف الأصلي، وما يتبع ذلك من اختلاف جرس ذلك الصّوت؛ حيث قال: "وإنّما كانت هذه الحروف فروعاً؛ لأنّهنّ الحروف التي ذكرناها (أي الأصول) لا غيرهنّ؛ ولكن أزلنّ عن معتمدهنّ؛ فتغيّرت جروسهنّ"^(٤).

وروى المسعدي رأي بعض أشياخه عن مفهوم الحروف الفرعية؛ حيث قال: "عرّف بعض مشايخنا هذه الحروف الفرعية بأنّها حروف غايرت الأصلية، ونشأت عنها بكيفية مختصة بها، فإنّ كیفيتها لا نظير لها في الحروف الأصلية"^(٥).

(١) المصباح المنير (فرع) ٢٤٣.

(٢) الرّعاية ٢١١.

(٣) جهد المقل ١٢١.

(٤) شرح المفصل ١٠ / ١٢٦.

(٥) الفوائد المسعدية ٢٤-٢٥.

ورأى أن هذا التعريف أوفق من القول بأنّها متردّدة بين مخرجين، متولّدة من حرفين، مقرّراً أنّ ألف التّفخيم، واللام المغلّظة لا ينطبق عليهما هذا القيد، كما هو ظاهر^(١).

ورجّح د. غانم قدوري الحمد ما ذهب إليه المسعديّ؛ مُعلّلاً ذلك بأنّ مخرج هذه الحروف الفرعيّة في الغالب هي عين مخرج نظيراتها الأصليّة غير أنّها اختصت بكيفيّة مُعيّنة؛ حيث اتّصفت بصفات صوتيّة ميّزتها عن الحروف الأصليّة^(٢).

وأرى أنّ ما ذهب إليه المسعديّ هو أوفق التعريفات في بيان الحرف الفرعيّ. وتُصنّف الحروف الفرعيّة صنفين؛ صنف يعرف بالحروف الفرعيّة المستحسنة، وآخر يعرف بالحروف الفرعيّة المستقبحة^(٣).

وعدّ سيويوه من المستحسنة: التّون الخفيّة، والهمزة التي بين بين، والألف الإمالة إمالة شديدة، والشّين التي كالجيم، والصّاد التي كالزّاي، وألف التّفخيم^(٤).

وذهب ابن جنيّ إلى أنّه "كان يجب على أصحابنا إذا ذكروا فروع الحروف نحو: ألف الإمالة، وألف التّفخيم، وهمزة بين بين أن يذكروا -أيضاً- الياء في نحو: قيل وبيع، والواو في نحو: مذعور وابن بور"^(٥).

ووافق القرطبيّ في ذلك، وأضاف إلى جانب ذلك اللام المفخّمة، والرّاء المرقّقة^(٦).

(١) نفسه.

(٢) شرح المقدمة الجزريّة يجمع بين التّراث الصّوتي العربيّ القديم والدّرس الصّوتي الحديث ٢٧٧

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٢، وانظر: المقتضب ١ / ١٩٢ - ١٩٤.

(٥) سرّ صناعة الإعراب ١ / ٥٦.

(٦) الموضح في التّجويد ٣٣ - ٣٤.

ومن ثمَّ فإنَّ عدد الحروف الفرعيَّة المستحسنة عشرة أصوات، وعلَّلَ ركن الدِّين الاسترابادي وصفها بالاستحسان " لما يستفاد بالامتزاج من تسهيل اللَّفظ، وتحقيق النُّطق بها"^(١).

ووصفت هذه الحروف بأنَّها كثيرة يؤخذ بها، وتستحسن قراءة القرآن، ورواية الأشعار بها، كما وصفت -أيضا- بالفصاحة^(٢).

وهناك فروع أخرى وصفت بأنَّها مستقبحة عدَّ منها سيبويه: " الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشِّين، والضَّاد الضَّعيفة، والضَّاد التي كالشِّين، والضَّاد التي كالتَّاء، والضَّاد التي كالباء التي كالفاء"^(٣).

ووصفت الحروف الفرعيَّة المستقبحة بالقلَّة في لغة من تُرَنِّصُ عربيَّته، كما أنَّه لا يُستحسن قراءة القرآن، ورواية الشُّعر بها^(٤).

وذهب ابنُ دريد إلى أنَّه " لا تتكلَّم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطرُّوا إليها حوَّلوها عند التَّكلُّم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها"^(٥). في حين يذهب ابن يعيش يعيش إلى أنَّ الذين تكلموا بهذه الحروف قوم من العرب خالطوا العجم، فتكلَّموا بلغاتهم^(٦).

وذهب د. عبدالغفار حامد هلال إلى أنَّ ذلك لا يمنع من وجودها عند القبائل العربيَّة قبل عصر تدوين اللُّغة^(٧).

(١) شرح الشَّافية لركن الدِّين الاسترابادي ٢ / ٩٢٠.

(٢) شرح الشَّافية لرضي الدِّين ٣ / ٢٥٤.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٤) نفسه.

(٥) جمهرة اللُّغة (المقدِّمة) ٤١.

(٦) شرح المفصَّل ١٠ / ١٢٨.

(٧) أصوات اللُّغة العربيَّة ٨٠.

ويذهب د. غانم قدوري إلى أنَّ الفائدة من معرفة الفروع المستقبحة تكمن في تحذير القارئ من الانزلاق إليها^(١).

وذهب د. عبد الحميد الأصيلي إلى أنَّ نعت الفروع المستقبحة بالقلّة، أو الاستبدال، أو الضّعف، أو نسبتها إلى قوم خالطوا العجم مرّده إلى منهج القياس على الكثير الأغلب الذي اتّسمت به المدرسة البصريّة، وسار عليه معظم المتقدّمين من علماء العربيّة^(٢).

ويُلاحظ ممّا سبق أنَّ القدماء يصفون بعض الفروع بالاستحسان، وبعضها بالاستقباح غير أنَّ هذا الأمر لا يتوافق مع الدّرس اللّغويّ الحديث الذي يرى أنَّ عمل اللّغويّ مقصور على وصف اللّغة، وتحليلها بطريقة موضوعيّة. وليس له أن يقتصر في دراسته على جوانب من اللّغة مستحسنا إياها، وينحّي جوانب أخرى استهجانا لها^(٣).

وذهب سيبويه إلى أنَّ الحروف الفرعيّة بنوعها لا تتبيّن إلا بالمشافهة^(٤)؛ أي: أنّه أنّه ليس لها صور خطيّة؛ يقول ج. فندريس: "لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات المستعملة في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكلُّ لغة فيها من الأصوات أكثر ممّا في كتابتها من العلامات"^(٥).

وذهب د. تمام حسّان إلى أنَّ "سيبويه وأصحابه حين تصدّوا لتحليل الأصوات كان بين أيديهم نظام صوتيّ كامل معروف ومشهور للغة العربيّة، وكانت الحروف

(١) شرح المقدّمة الجزريّة يجمع بين التّراث الصّوتيّ العربيّ القديم والدّرس الصّوتيّ الحديث ٢٧٥.

(٢) الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة ١٠٧

(٣) علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ ٥١.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٢.

(٥) اللّغة ٦٢.

التي يشتمل عليها هذا النّظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل، فكان لكلّ حرف منها رمز كتابيّ يدلُّ على الحرف في عمومته دون النّظر إلى ما يندرج تحته من أصوات"^(١). وهذه الفروع "لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف؛ كأن تكون إدغاما له، أو إقلاباً، أو إخفاءً، أو إمالة، وهلمّ جرا"^(٢).

وما هذه الفروع إلا تنوّعات صوتيّة للحروف الأصول؛ ولا تُعدُّ ذات قيمة في تغيير المعنى"^(٣). وذهب باريوباي إلى أنّ المتكلّمين يفتنون بسرعة إلى الاختلافات الفونيميّة، غير أنّهم لا يكونون على علم بالاختلافات الصّوتيّة؛ حيث إنّ تغيير الفونيم يصحبه تغيير المعنى ممّا يثير انتباه السّامع، في حين أنّ الأمر ليس كذلك في الألفونات، أو التّنوّعات الصّوتيّة"^(٤). وينظر إلى الحروف الأصول على أنّها وحدة تقسيمية يندرج تحتها عدد من الأصوات؛ يقول د. تمام حسّان: "مثل الأصوات والحروف في علاقة كلّ منها بالآخر مثل الطّلاب والصّفوف فالطالب حقيقة مادّيّة والصّف وحدة تقسيمية... لأنّ الحرف عنوان على عدد من الأصوات والصّف مثله عنوان على عدد من الطلبة؛ أي أنّ الصّوت والطّالب حقيقتان مادّيتان، والحرف والصّف قسمان من نظام يضمّ غيرهما من الأقسام"^(٥).

والحرف الأصليّ بهذا المفهوم مرادف لمصطلح الفونيم، في حين تُعدُّ التّنوّعات الصّوتيّة لهذا الأصل مرادفة لمصطلح الألفون"^(٦).

(١) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ٥١.

(٢) نفسه.

(٣) شرح المقدمة الجزريّة ٢٠٧.

(٤) أسس اللّغة ٩٠.

(٥) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ٨٣.

(٦) المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي ٨٤.

وينبغي التنبُّه إلى أنَّ أَلْفُونَاتِ الفونيم الواحد يجب أن تتقاسم بعض الشَّبه الصَّوتِيّ؛ كالمخرج، وكيفية النُّطق^(١).

وهذه الصُّور تمثِّل أَلوانا من الأداء يعكس اختلاف القبائل العربيَّة في نطقها، ولولا أنَّ هذه الصُّور كانت مألوفة على ألسنة العرب، واضحة الفروق بينها، ملموسة حدودها، ما التفت إليها العلماء، وما سجَّلوها بهذه الدِّقَّة البالغة^(٢).

(١) أسس علم اللُّغة ٨٨-٨٩.

(٢) في اللُّهجات العربيَّة مقدِّمة للدراسة ١٢٤.

المبحث الأول: النون الخفيفة

يقصد بالنون الخفيفة النون الساكنة، ويطلق عليها النون الخفيفة^(١)، إلا أنه يجب أن يقال الخفيفة؛ لأن التفسير يدل عليه؛ إذ هي نون ساكنة غير ظاهرة مخرجها من الخيشوم^(٢).

ويرى د. تمام حسّان أن الأصح أن يقال الخفيفة؛ لأن الخفيفة تقابل الثقيلة في التوكيد في علم النحو، ولها أحكام في الوقف تفرد بها بطابع خاص؛ حيث تصير في الوقف ألفاً؛ نحو: "قفا" في "قفن"^(٣).

وذهب الشيخ الأنصاري إلى أن خفاءها عند عدد من الأصوات تعرف بأصوات الإخفاء هو السبب في تسميتها بالخفيفة نظراً لخفائها، كما تسمى خفيفة؛ وذلك لسكونها^(٤).

وذهب د. عبد المنعم الناصر إلى التمييز بين كلا المصطلحين توخيّاً للوضوح، وتجنباً للاشتباه في مدلولات المصطلح؛ حيث رأى أن تخصيص مصطلح النون الخفيفة للإشارة إلى الأشكال الفرعية من النون أقرب لفهم علاقتها بالنون الأصلية من الناحية الصوتية، في حين يستعمل مصطلح النون الخفيفة فيما يتعلق بأبواب النحو^(٥). وينبغي أن يُلاحظ أنه لا يريد بوصف الساكنة التي بعد حركة، أو التي يمكن تحريكها، وإنما المراد بها النون؛ التي تُسمع خفيفة من غير إدغام أو إظهار^(٦) ويشمل

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٤، المقتضب ١ / ١٩٤، سر صناعة الإعراب ١ / ٤٨ .

(٢) الموضح في التجويد ٣٣.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣.

(٤) مجموعة الشافية ٢ / ٢٣٩.

(٥) شرح صوتيات سيويه ٤٠-٤١.

(٦) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣١١.

ذلك التَّنوين؛ يقول مكِّي القيسي: " التَّنوين مثل النُّون في كلِّ ما ذكرنا، وعلى هذا فقس كلَّ ما جاءك من هذا النَّوع"^(١). وإنَّما جعلوا التَّنوين لاحقا بالنُّون لسببين: أحدهما: أنَّ التَّنوين في حقيقته النُّظفيَّة ليس شيئا آخر غير النُّون.

والآخر: أنَّ الذي ينطبق على النُّون في الأداء التَّجويديِّ هو الذي ينطبق على التَّنوين؛ لذلك كانت الأحكام المستخلصة من الأداء النُّظفيِّ للتَّنوين هي عينها المستخلصة من الأداء النُّظفيِّ للنُّون^(٢).

وتخرج هذه النُّون من الخياشيم^(٣) ألا ترى أنَّك لو قلت: (عنك) و(منك)، فأمسكت أنفك عند اللَّفْظِ بذلك؛ لتغيَّر لفظ النُّون والتَّنوين؛ لأنَّك قد حِلَّتْ - بإمساك أنفك - بين الحرف ومخرجه، فعلمت من ذلك أنَّ مخرج النُّون الخفيفة؛ التي هي غنة في النُّون والتَّنوين من الخياشيم^(٤). ومن ثمَّ "فهي صوت مُركَّب على جسم الخيشوم خاصَّة، لاحظْ لجري اللِّسان فيه"^(٥). يقول أبو حيَّان: "مخرج الخيشوم، وهو للنُّون السَّاكنة الخفيفة المخفأة؛ التي لم يبقَ منها إلا الغنة. وأمَّا السَّاكنة سكونا خالصا كالنُّون في نحو: (يضرِبُن) فسيبويه يبيِّن أنَّ مخرجها من مخرج النُّون المتحرِّكة"^(٦).

وتخفى هذه النُّون إذا وليها حرف من حروف الإخفاء؛ وهي: الصَّاد، والدَّال، والكاف، والثَّاء، والجيم، والشَّين، والقاف، والسَّين، والدَّال، والطَّاء، والزَّاي،

(١) الرُّعاية ٢٦٩.

(٢) القراءات القرآنيَّة بين العربيَّة والأصوات اللُّغويَّة منهج لساني معاصر ٩٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٤، سرُّ صناعة الإعراب ١/ ٤٨، شرح الشَّافية ٣/ ٢٥٤، المقرب ٢/ ٦ والخيشوم: خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم. ينظر: التَّمهيد في علم التَّجويد ١٥٩، وجمع الهوامع ٦/ ٢٩٤.

(٤) الرُّعاية ١١٤.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها ١٠٠.

(٦) ارتشاف الصُّرب ١/ ١١.

والفاء، والتاء، والضاد، والظاء^(١). وذهب القرطبي إلى أن الناطق لو تكلف إخراجها من الفم مع هذه الحروف لأمكن، ولكن بعلاج وكلفة ومشقة^(٢).

ومن شواهد هذه النون نحو: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ﴾^(٣)، ﴿مَنْصُورًا﴾^(٤)، ﴿صَفَا صَفًا﴾^(٥)، ﴿مَنْ ذَكَرَ﴾^(٦)، ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾^(٧)، ﴿وَكَيْلًا ذُرِّيَّةَ﴾^(٨)، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾^(٩)، ﴿مَنْشُورًا﴾^(١٠)، ﴿جِهَارًا ثُمَّ﴾^(١١)، ﴿مِنْ جُوعٍ﴾^(١٢)، ﴿أَجْنَانًا﴾^(١٣)، ﴿جَاءَ جَمًّا﴾^(١٤)، ﴿مِنْ شَرِّ﴾^(١٥)، ﴿مَنْشُورًا﴾^(١٦)، ﴿نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(١٧)، ﴿مِنْ قَرَارٍ﴾^(١٨)،

(١) الكشف ١ / ١٢٠، الرعاية ٣٩٧.

(٢) الموضح في التجويد ٣٣.

(٣) سورة المائدة الآية ٢.

(٤) سورة الإسراء آية ٣٣.

(٥) سورة الفجر آية ٢٢.

(٦) سورة الشعراء آية ٥.

(٧) سورة الشعراء آية ١٩٤.

(٨) سورة الإسراء الآيتين ٢-٣.

(٩) سورة الأعراف آية ٨.

(١٠) سورة الفرقان آية ٢٣.

(١١) سورة نوح الآيتين ٨، ٩.

(١٢) سورة الغاشية آية ٧.

(١٣) سورة الأنعام آية ٦٣.

(١٤) سورة الفجر آية ٢٠.

(١٥) سورة الفلق آية ٢.

(١٦) سورة الإسراء آية ١٣.

(١٧) سورة البقرة آية ٤٨.

(١٨) سورة إبراهيم آية ٢٦.

﴿وَيَنْقَلِبُ﴾^(١)، ﴿فَعَجَبَ قَوْمُهُمْ﴾^(٢)، ﴿مِنْ سُوءٍ﴾^(٣)، ﴿مِنْ سَاءَتِهِ﴾^(٤)، ﴿أَمْرٍ سَلَمٍ﴾^(٥)، ﴿مِنْ
 ﴿مِنْ كُلِّ﴾^(٦)، ﴿مِنْكُمْ﴾^(٧)، ﴿قَرِيَّةٍ كَانَتْ﴾^(٨)، ﴿لَمَنْ صَرَّهُ﴾^(٩)، ﴿مَنْصُودٍ﴾^(١٠)،
 ﴿ذُرِّيَّةٍ ضَعْفًا﴾^(١١)، ﴿مَنْ ظَلِمَ﴾^(١٢)، ﴿يَنْظُرُونَ﴾^(١٣)، ﴿مَثَلًا ظَلَّ﴾^(١٤)، ﴿مِنْ
 ﴿زَوَالٍ﴾^(١٥)، ﴿أَنْزَلْنَا﴾^(١٦)، ﴿مَتَّعَ زَيْدٌ﴾^(١٧)، ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾^(١٨)، ﴿كُنْتُمْ﴾^(١٩)،
 ﴿تَجَلَّرَةً حَاضِرَةً﴾^(٢٠)، ﴿مِنْ دَابَّتِهِ﴾^(١)، ﴿أَنْدَادًا﴾^(٢)، ﴿مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾^(٣)، ﴿أَنْ طَهَّرَا﴾^(٤)،

(١) سورة الانشقاق آية ٩

(٢) سورة الرعد آية ٥

(٣) سورة آل عمران آية ٣٠

(٤) سورة سبأ آية ١٤

(٥) سورة القدر الآيتين ٥، ٦

(٦) سورة البقرة آية ١٦٤

(٧) سورة آل عمران آية ١٥٢

(٨) سورة النحل آية ١١٢

(٩) سورة الحج آية ١٣

(١٠) سورة هود آية ٨٢

(١١) سورة النساء آية ٩

(١٢) سورة النساء آية ١٤٨

(١٣) سورة البقرة آية ٢١٠

(١٤) سورة الزخرف آية ١٧

(١٥) سورة إبراهيم آية ٤٤

(١٦) سورة البقرة آية ٩٩

(١٧) سورة الرعد آية ١٧

(١٨) سورة البقرة آية ٢٥

(١٩) سورة البقرة آية ٢٣

(٢٠) سورة البقرة آية ٢٨٢

طَهْرًا^(٤)، ﴿فَأَنْطَلَقًا﴾^(٥)، ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ﴾^(٦)، ﴿مِنْ فَوْقِ﴾^(٧)، ﴿الْإِنْفَاقِ﴾^(٨)، ﴿مَاءَ فَسَّاتٍ﴾^(٩).

ويمكن أن نلاحظ الفرق بين التُّون؛ التي يليها صوت من أصوات الإخفاء، والتُّون؛ التي يليها غير هذا الصَّوت؛ من نحو: (من عاد)، و(من قال) فبعد أن نفتح الشَّفتين بالميم في الأولى يتَّصل طرف اللِّسان باللثة فويق الثنايا، أو بأصول الثنايا، ويخرج الهواء بغنة من الأنف بعد أن ينخفض الحنك اللَّيِّن؛ ليقفل طريق الفم أمامه. أمَّا في الثانية فإنَّ اللِّسان لا يمسُّ اللثة أو أصول الثنايا بعد انفتاح الشَّفتين بالميم؛ حيث يبقى طرفه مستلقيا في الفم، وكأنه يستعدُّ لنطق القاف، وينخفض الحنك اللَّيِّن؛ ليخرج الهواء بغنة من الأنف واستعداد اللِّسان لنطق الحرف الذي بعد التُّون يمكن ملاحظته، وذلك بتنوع الحروف التَّالية للتُّون؛ من نحو: من جاء، ومن فاز^(١٠).

وعلَّل سيبويه لخفائها بقوله: "تكون التُّون مع سائر حروف الفم حرفا خفياً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنَّها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم؛ لأنَّها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم، كان أخفَّ عليهم أن لا

(١) سورة الأنعام آية ٣٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٢

(٣) سورة الأنعام ١٦١

(٤) سورة البقرة آية ١٢٥

(٥) سورة الكهف آية ٧١

(٦) سورة البقرة آية ١٨٤

(٧) سورة ص آية ١٥.

(٨) سورة الإسراء آية ١٠٠.

(٩) سورة الرعد آية ١٧.

(١٠) الدِّراسات اللَّهجيَّة والصَّوتيَّة عند ابن جنِّي ٣١١.

يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنّها نون من ذلك الموضع، كالعلم بها وهي من الفم؛ لأنّه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختروا الخفّة إذ لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام، وكثرة الحروف للفم^(١).

وذكر ابن الجزريّ: "أنّ النون والتّنين لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الإدغام، فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب، ولم يبعدا منهن كبعدهما من حروف الإظهار، فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد، فلمّا عدم القرب الموجب للإدغام، والبعد الموجب للإظهار أخفيا عندهن، فصارا لا مدغمين، ولا مظهرين، إلا أنّ إخفاءهما على قدر قربهما منهن، وبعدهما عنهن، فما قربا منه كان عنده أخفى ممّا بعدا عنه . والفرق عند القراء والنحويين بين المخفي والمدغم أنّ المخفيّ مخفّف والمدغم مشدّد"^(٢).

إلى جانب أنّ النون قد صار لها مخرجان؛ مخرج لها، وآخر لغنتها، فاتّسعت في المخرج، فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم، فشاركها بالإحاطة فخفيت عندها^(٣).

وفي ذلك تقريب بين الصّوتين المتجاورين تيسيراً للنطق واقتصاداً في الجهد العضلي^(٤).

وذهب د. إبراهيم أنيس إلى أنّ الإخفاء هو محاولة للإبقاء على النون؛ وذلك بإطالتها، ممّا أدّى إلى ما نسميه بالغنة^(٥).

(١) الكتاب ٤/ ٤٥٤.

(٢) جامع البيان في القراءات السبع ٢/ ٦٨٢.

(٣) التمهيد ١٥٩.

(٤) الأصوات اللغويّة ١٧٤.

(٥) السّابق ٧٢.

ويتَّسم صوت النُّون بالكثرة في الاستعمال؛ حيث وصلت نسبة شيوعه ١١٢ في كلِّ ألف من الأصوات السَّاكنة^(١). ومعلوم أنَّ الصوت متى شاع استعماله كان عرضة للتَّغيير.

قال السَّخاويُّ: "الإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار ويكون تارة إلى الإظهار أقرب وتارة إلى الإدغام أقرب على حسب بعد الحرف من النون والتنوين وقربه منه"^(٢)، ثمَّ عدَّ السَّخاويُّ مراتب الإخفاء خمس مراتب: المرتبة الأولى: الإدغام اقرب (الطاء - الزاي - الصاد - السين - التاء - الدال).

المرتبة الثانية: أظهر من ذلك قليلا (الطاء - التاء).

المرتبة الثالثة: أظهر من ذلك قليلا (الضاد - الدال).

المرتبة الرابعة: أظهر من ذلك قليلا (الجيم - الشين).

المرتبة الخامسة: أظهر من جميع ذلك (القاف - الكاف - الفاء)^(٣).

وقام د. عادل أبو شعر بقياس نسبة الغنَّة بواسطة جهاز مقياس الغنَّة، وخلص إلى أنَّ نسبة الغنَّة تكون أكثر مع حرفي القاف والكاف؛ حيث تصل إلى ٩٠٪ أو أكثر من ذلك بقليل، ويرجع سبب ذلك إلى أنَّ أقصى اللسان قد أغلق منطقة الفم غلقا كاملا أو شبه كامل عند مخرج هذين الصَّوتين، فخرج أكثر الصَّوت من الخيشوم^(٤).

(١) السَّابق ٢٠٢ .

(٢) فتح الوصيد في شرح القصيد ٤١٥ / ٢

(٣) فتح الوصيد في شرح القصيد ٤١٥ / ٢

(٤) الأصوات العربيَّة بين القدماء والمحدثين دراسة تحليليَّة معملية (رسالة ماجستير) ص ٨٥ .

ووصفت حروف المدّ بالخفاء؛ يقول سيبويه: " وهذه الثلاثة أخفى الحروف؛ لا تُساع مخرجها، وأخفاهن، وأوسعهن مخرجا الألف، ثمّ الياء، ثمّ الواو" (١).
 وذهب د. عبدالعزيز الصيّغ إلى أنّ المقصود بالخفاء في النون هو الغنة، أمّا الخفاء في حروف المدّ، فهو عدم وضوح الصّوت؛ لا تُساع المخرج (٢).
 ويُلاحظ أنّ هذه النون تختلف صفاتها بحسب ما يكتنفها من أصوات؛ حيث يعرض لها من الصّفات حال التقائها بغيرها ما لا يعرض لغيرها، ولا يشركها في ذلك حرف آخر؛ وذلك لسرعة تأثرها بما يجاورها واتّصالها بها اتّصالا مباشرا (٣).
 ومن ذلك إذا تلتته الدّال والثاء والظاء فإننا نجد صوت النون يتسم بصفة التّفخيم مع الظاء، في حين هو مرّقق مع الدّال والثاء. أمّا إذا وليته الطاء والدّال والثاء، فهو من الأصوات الشّديدة، في حين يوصف بالرّخاوة إذا وليه السين والصّاد والرّاي (٤).

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٦.

(٢) المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة ١٦٩.

(٣) ظاهرة التّنوين في اللّغة العربيّة ٣٦.

(٤) مناهج البحث في اللّغة ١٠٥-١٠٦، ظاهرة التّنوين في اللّغة العربيّة ٣٦.

المبحث الثاني: ألف التّفخيم

التّفخيم في اللّغة: التّعظيم، وفخّم الشيء يفخّمه فخامة وفخّم، وفخّم الكلام عظّمه^(١).

وفي الاصطلاح: سَمَنٌ يدخل على الحرف، فيمتلئ الفم بصداه^(٢)، ويكون - هنا - بالانتحاء بالألف نحو الواو؛ نحو قولهم: قام زيد، وقولهم: الصّلوة، والزكوة، والحيوة^(٣).

ويُطلق التّفخيم ويراد منه الفتح، وهو ضدّ الإمالة؛ يقول ابن خالويه: "والحجّة لمن فخّم أنّه أتى بالكلام على أصله، ووجهه الذي كان له؛ لأنّ الأصل التّفخيم، والإمالة فرع عليه"^(٤).

يقول ابن فارس: "ومنها الاختلاف - يعني في لغات العرب - في الإمالة والتّفخيم"^(٥). ويقول ابن منظور: "التّفخيم في الحروف ضدّ الإمالة"^(٦).
يقول ابن خروف: "الألفات أربع: ألف الطّبيعة المعتادة، وألف الإمالة، وألف التّفخيم، والألف التي بين اللّفظين في مثل الأبرار"^(٧).

ويكون التّفخيم - هنا - بأنّ تستدير الشّفتان قليلا مع اتّساع الفم نتيجة لحركة الفكّ الأسفل، ويرتفع مؤخّر اللّسان قليلا، فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين

(١) اللّسان (فخّم) ١٢ / ٤٤٩.

(٢) جهد المقل ١٢٧.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٢، سرّ صناعة الإعراب ١ / ٥٠، شرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٢٥٥.

(٤) الحجّة في القراءات السّبع ٦٦.

(٥) الصّاحبي ٢٩.

(٦) اللّسان (فخّم) ١٢ / ٤٥٠.

(٧) همع الهوامع ٦ / ٢٩٥.

صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم^(١). يقول د. حسن ظاذا: "الصوت الإنساني يرن داخل أعضاء النطق، فإذا ضاق حيز الرنين؛ أي: صغر حجم الفراغ الهوائي الذي يرن فيه الصوت، جاء الحرف مرققا أو منخفضا، أما إذا اتسعت التجاويف، وكبر حجم الفراغ الهوائي فإن الحرف يسمع مفخما أو مستعليا. وهذا هو الفرق الصوتي عندما أنطق كلمتين مثل: (فَدَّ) و(فَطَّ)، وكذلك الأمر عندما أقول: سار وصار"^(٢).

وتفخيم الألف ظاهرة لغوية عرفت في أهل الحجاز^(٣). كما عزيت لأهل اليمن؛ اليمن؛ يقول ابن منظور: "كتبت في المصحف بالواو؛ ليعلم أن الواو بعد الياء في حدّ الجمع، وقيل على تفخيم الألف، وحكى ابن جنّي عن قطرب أن أهل اليمن يقولون: الحيوية، بواو قبلها فتحة... وكذلك يفعل أهل اليمن بكلّ ألف منقلبة عن واو كالصلوة والزكوة"^(٤).

وهو صوت ما زلنا نسمعه في لهجاتنا المحلية من نحو: (نوع) و(ثوب) وغيرهما ممّا يهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي^(٥). ويرمز له بالرمز (o) حسب معيار دانيال جونز^(٦).

(١) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ٥٣.

(٢) كلام العرب ٩.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٢، سرّ صناعة الإعراب ١ / ٥٠، همع الهوامع ٦ / ٢٩٤.

(٤) اللسان (حيا) ١٤ / ٢١١.

(٥) اللّهجات في الكتاب لسبويه أصواتا وبنية ٩٤.

(٦) الصوائت بين ابن جنّي ودانيال جونز ٥٤.

يقول الداني: " ورسم في كلِّ المصاحف (الصلوة) و(الزكوة) و(الحيوة) و(بالغدوة) و(كمشاوة) و(النَّجوة) و(مناوة) بالواو على الأصل، أو على لغة أهل الحجاز الذين يفرطون في تفخيم الألف وما قبلها"^(١).

وذهب الداني إلى أن التَّفخيم قد ورد في أربعة أصول مطَّردة، وأربعة أخرى متفرَّعة أمَّا الأصول، فهي (الصلوة)، و(الزَّكوة)، و(الحيوة)، و(الرَّبُو).

وأما الفروع، فهي (بالغدوة)، و(كمشكاوة)، و(النَّجوة)، و(مناوة)، معللاً تفخيمها، وكتابتها بالواو بتعظيم شأن هذه الأحرف في الدين والحياة^(٢). وتابعه في ذلك الزركشي^(٣). في حين ذهب القيسيُّ إلى أن الذي دعاهم إلى ذلك إرادة نفي جواز الإمالة فيها^(٤).

وذهب د. تمام حسان إلى أنها لما جاورت أصواتا غير مطبقة، خشي مدونو القرآن على تفخيم الألف، كتبوها في صورة الواو؛ ليَعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة^(٥).

وذهبت د. صالحه آل غنيم إلى أن هذه الكلمات قد كتبت بالواو في المصحف؛ حيث إن الذين كتبوه جُلُّهم من قريش، فلشدَّة تفخيمهم للألف كتبوها واوا. وأنَّ هذا التَّفخيم يعدُّ مظهرا من مظاهر التَّأني في النُّطق، وهو ما تتميزُّ به القبائل الحضريَّة كالبيئة الحجازيَّة^(٦).

(١) المقنع في رسم المصحف ٣٩٨، المحكم في نقط المصحف ١٨٨.

(٢) المقنع في رسم المصاحف ٣٩٨-٣٩٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٠٩.

(٤) الرِّعاية ٢٠٩.

(٥) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها ٥٣.

(٦) اللُّهجات في الكتاب لسبويه أصواتا وبنية ٩٤.

وذهب د. مكِّي درار إلى أنَّ لفظة الزَّكاة قد وردت في القرآن خمسا وعشرين مرَّة، منها إحدى وعشرون مرَّة تابعة للفظَة (الصَّلَاة) مباشرة، ولما كانت لام الصَّلَاة مفخَّمة انقلب الألف واوا، ولحقها لفظة الزَّكاة بغية تحقيق الانسجام الصَّوتي في الأداء، وانقلب الألف فيها واوا؛ اتباعا لما قبلها. في حين أنَّ الألف في لفظة (الحياة) انقلب واوا على أساس التَّوَقُّع، وقصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل الألف، أو بصوت ما يصير إليه الألف؛ حيث إنَّ جمع الحياة: حيوات، وحيوان، وإذا انقلب واوا - هنا - فإنَّها للتَّوَقُّع^(١).

وذهب ابنُ الجزريِّ إلى أنَّ الألف لا توصف بترقيق، ولا تفخيم؛ وإنَّما هي تابعة لما قبلها ترقيقا، وتفخيميا^(٢).

وعلى هذا فإنَّها لا تُفخَّم إلا إذا سُبِقَت بصوت من أصوات الاستعلاء؛ وهي: الخاء، والغين، والقاف، والضَّاد، والطَّاء، والصاد، والظَّاء؛ حيث يكون اللِّسان مرتفعا إلى الحنك الأعلى حين النُّطق بها^(٣). وسبب تبعيَّتها لما قبلها هو أنَّه لا يعمل فيها عضو من أعضاء النُّطق^(٤). وذهب د. كمال بشر إلى أنَّ الأوفق أن يُعمَّم؛ وذلك بأن يُترك الأمر للسِّياق بعامة؛ لتدخل الأصوات التَّالية لها؛ حيث تأثر الألف بتفخيم الأصوات التَّالية له؛ من نحو: فاض، وباض^(٥).

(١) الحروف العربيَّة وتبدلاتها الصَّوتية في كتاب سيبويه خلفيات وامتداد ٢٠٥.

(٢) النُّشر ١ / ٢١٥.

(٣) سرُّ صناعة الإعراب ١ / ٦٢.

(٤) جهد المقل ٣٣.

(٥) دراسات في علم اللُّغة ١٣٦.

ويُلاحظ من خلال الأمثلة التي ساقها العلماء لهذه الألف أنّها لم تكن مسبوقة بأحد أصوات الاستعلاء فقط؛ حيث ورد التّفخيم في الزّكوة، والحيوة، ولم تُسبق بصوت من أصوات الاستعلاء.

وذهب د. عبدالعزيز الصّيغ إلى أنّ للألف صفتين:

صفة أساسية ثابتة، وبها تكون الألف صوتاً مفخّماً؛ وهي الألف اللّهجيّة التي ذكرها سيبويه لغة للحجازيين.

وأخرى غير ثابتة؛ وإنّما هي مكتسبة تشبه التّفخيم في صوتي الرّاء، واللام، وهذه الصّفة تكون للألف - أيضاً - حين تتبع ما تقدّمها من الأصوات المستعلية^(١).

وذهب د. كمال بشر إلى أنّ هذا النّطق اللّهجي غير المرتبط بالموقع والسّياق الوارد في لغة أهل الحجاز جاء نتيجة التّأثر بنطق أجنبيّ عن العربيّة؛ مدللاً على ذلك بورود لفظة (الصّلوة) و(الزّكوة) في اللّغة السّريانيّة^(٢).

وذهب د. تمام حسّان إلى أنّ ألف التّفخيم قائمة بذاتها؛ مدللاً على ذلك بأننا لو أردنا أن نستبدل بالصّوت المفخّم الذي ينتمي إلى حرف الألف في وسط (طاب) صوتاً آخر مرّق نزعناه من الألف - أيضاً - لعزّ ذلك على ذوق اللّغة العربيّة، ولتعارض مع طريقتها في مصابقة الأصوات؛ حيث إنّ الطّاء المفخّمة لا تتلوها ألف مرّقّة في عرف اللّغة الفصحى، ومعنى ذلك أنّ أحد الصّوتين المفخّم، والمرّقق يأبى أحدهما أن يحلّ محلّ الآخر رغم انتهائهما إلى حرف واحد^(٣).

(١) المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة ١٤٩-١٥٠.

(٢) دراسات في علم اللّغة ١٣٦.

(٣) اللّغة العربيّة معناها ومبناها ٥٣.

في حين ذهب د. كمال بشر إلى أنّ التّفخيم في الألف ليس ظاهرة فونيميّة من شأنها التّفريق بين المعاني في الكلمات المتماثلة في تركيبها الصّوتي، وإنّما هو ظاهرة تطريزيّة ناتجة عن السّياق^(١).

ورجع كاتنينو ظاهرة التّفخيم - هنا - للنّبر، وذلك أنّ هذه الألف؛ التي يقع عليها النّبر، تصير في العربيّة والفينيقية أصوات مدّ خلفيّة نصف ضيقّة؛ أي: ألفات مفخّمة^(٢).

(١) دراسات في علم اللّغة ١٣٦.

(٢) دروس في علم أصوات العربيّة ١٣٦.

المبحث الثالث: ألف الإمالة

الإمالة لغة: العدول إلى الشيء والإقبال عليه^(١).

واصطلاحاً: أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء^(٢).

وذهب الرّضويّ إلى القول بأنّ الإمالة هي أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة موفية بالغرض؛ ذلك أنّه يلزم من إمالة فتحة الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء؛ لأنّ الألف المحض، لا يكون إلا بعد الفتح المحض، ويميل إلى جانب الياء بقدر إمالة الفتحة إلى الكسرة ضرورة، فلمّا لزمها لم يحتج إلى ذكرها^(٣).

وأطلق عليه القرطبيّ ألف التّرخيم؛ لأنّ التّرخيم تليين الصّوت، وهو أن ينحى بالفتحة التي قبل الألف نحو الكسرة، فتخرج الألف بين الألف والياء^(٤).

واختلف العلماء في كون الإمالة فرعاً عن الفتح؛ حيث ذكر ابنُ الجزريّ أنّ من العلماء من قال بأصالة كلّ منهما، في حين ذهب بعضهم إلى أصالة الفتح، وفرعيّة الإمالة مدلّين على ذلك بأنّ الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب، فإنّ فُقد سبب منها لزم الفتح، وإنّ وُجد شيءٌ منها جاز الفتح والإمالة، فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها، ولا يقال كلّ كلمة تُفتح ففي العرب من يميلها. إلى جانب أنّ الإمالة تصيّر الحرف بين حرفين بمعنى أنّ الألف الممالّة بين الألف الخالصة والياء، وكذلك الفتحة الممالّة؛ حيث تصير بين الفتحة الخالصة والكسرة، والفتح يُبقي الألف والفتحة على أصلها. ومن ثمّ علّم أصالة الفتح، وفرعيّة الإمالة^(٥).

(١) اللّسان (ميل) ١١ / ٦٣٦ .

(٢) الأصول ٣ / ١٦٠، سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢، الكشف ١ / ١٦٨ .

(٣) شرح الشّافية ٣ / ٤ .

(٤) الموضّح في علم التّجويد ٣٣ .

(٥) النّشر ٢ / ٣٢ .

وذهب جان كاتينو إلى قدم ظاهرة الإمالة مستدلا على ذلك بنقوش قديمة كتبت بحروف يونانية^(١). وذهب برجشتراسر إلى أن صوت الإمالة هو أحد أصوات المدِّ الأساسية في اللغات السامية، ثمَّ فقدَ قيمته؛ ليصبح مجرد صورةٍ نُطْقِيَّة^(٢). وذهب د. حسام سعيد النعيمي إلى أن ما يسمى ألفا هو في الأصل أحد صورتين رقيق يقرب من الياء، وفخم يقرب من الواو، وما الإمالة والتفخيم إلا من آثار هذين الصوتين؛ حيث تطوَّر صوت الإمالة إلى الألف المحض، وبقيت آثار ذلك عند القبائل البدوية، وعند بعض قبائل الحجاز، ولعلَّها كانت على أطرافها بين الحضارة والبداءة^(٣).

والإمالة على ضربين: إمالة شديدة، ويطلق عليها: الإضجاع، والبطح، والإمالة المحضة، والكبرى، والكثير، والكسر^(٤).

يقول الزَّجَّاج: "سَمَّى النَّاسُ الإِمَالَةَ كَسْرًا، وَلَيْسَ بِكَسْرٍ صَحِيحٍ، وَالخَلِيلُ. وَأَبُو عَمْرٍو يَقُولَانِ إِمَالَةً"^(٥) وليس ذلك بمستغرب؛ لأنَّ الإمالة في أشدِّ حالاتها - كما يقول أبو شامة: "أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه"^(٦) وهو ما يرمز له في الحركات المعيارية بالرمز (e)^(٧).

وهناك الإمالة المتوسطة، وفيها يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط، والإمالة الشديدة.

(١) دروس في علم أصوات العربية ١٥٩.

(٢) التطور النحوي ٣٤.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٠٤-٢٠٥.

(٤) التيسير ٤٦، الأصول ١٦٠/٣، التبصرة والتذكرة ٧١٠/٢، النسر ٢٩/٢، شرح الكافية الشافية

١٩٧٠/٤، الإمالة في القراءات واللهجات العربية ١٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٣١/٥.

(٦) إبراز المعاني ٢٠٤.

(٧) الأصوات اللغوية ٤١، الإمالة في القراءات ٤٤.

ويُطلق عليها الإمالة الصُّغرى، والتَّقليل، والتَّلطيف، وبين بين، وبين اللَّفظين؛ أي: بين الفتح والإمالة المحضة^(١). ويرمز له بالرمز (E)^(٢). ولم يعدت سيويه بإمالة بين بين، وإنما بالإمالة المحضة^(٣). وتابعه في ذلك الرُّضِّي^(٤).

وشدَّة الإمالة وخفَّتْها تكون بحسب القرب من الياء؛ يقول المبرِّد: "فكلُّ ما كانت الياء أقرب إلى ألفه أو الكسرة، فالإمالة له ألزم، والنَّصَب فيه جائز، وكلُّ ما كثُرَتْ فيه الياءات أو الكسرات، فالإمالة فيه أحسن من النَّصَب"^(٥). و"جملة الباب أنَّه كل ما كان في الياء أو الكسرة فيه أثبت، فالإمالة له ألزم إلا أن يمنع مانع من المستعالية"^(٦). وتابعه في ذلك ابن يعيش^(٧).

وذهب د. سمير استيتية إلى تقسيم الإمالة إلى درجتين هما الإضجاع والبطح؛ حيث يكون الإضجاع أقرب إلى الكسر، في حين يكون البطح أقرب إلى الفتح؛ ذلك أنَّ للحركات حدوداً لا تتجاوزها يقترب بعضها من بعض، أو يبتعد بعضها عن بعض، وهذه الحدود هي الفتحة والكسرة، فالكسرة هي الحدُّ الأماميُّ العلويُّ للحركات، وتوصف بأنَّها أمامية ضيقة. وتعدُّ الفتحة الحدُّ الأماميُّ السُّفليُّ للحركات، فهي أمامية واسعة، وبين هاتين الدرجتين من العلوِّ والنزول درجات مختلفة تمثل مقدار قرب الفتحة من الكسرة، وابتعادها عنها. ووجد العلماء أنَّ أبرز

(١) النَّشْر ٢/٢٤، الإتحاف ١/٢٤٧، الإتيقان ١/٩١.

(٢) الأصوات اللُّغويَّة ٤١، الإمالة في القراءات ٤٤.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٢، النَّشْر ١/٢٠١.

(٤) شرح الشافية ٣/٤.

(٥) المقتضب ٣/٤٢.

(٦) السَّابِق ٣/٤٧.

(٧) شرح المفضَّل ٩/٥٤.

درجتين بين الفتحة والكسرة، هما الدرجتان اللتان تمثلان الثلث الأوّل والثالث الثاني من المسافة الواقعة بين الفتحة والكسرة، فعند هاتين الدرجتين يتم إنتاج حركتين مختلفتين شائعتين في معظم لغات العالم، وإحدى هاتين الحركتين أقرب الحركتين إلى الكسرة، وهي ما يعرف بالإضجاع، وأخرهما أقرب إلى الفتحة، وهو ما يعرف بالبطح^(١).

وترجع أسباب الإمالة إلى سببين رئيسيين؛ هما: الكسرة، والياء^(٢).
وأسبابها على وجه التفصيل ما يلي:

١. الإمالة للكسرة سواء أكانت الكسرة قبل الممال أم بعده؛ نحو: عماد، والنّار.
٢. الإمالة للياء؛ نحو: شيان، وسيال.
٣. الإمالة للألف المنقلبة عن ياء؛ نحو: رقى، وفتى.
٤. الإمالة للكسرة العارضة؛ نحو: خاف، وطاب؛ لأنّ الكسر يفرض في خفت وخطبت.
٥. الإمالة للألف المشبّهة بالمنقلبة عن الياء؛ نحو: حبلى وسكرى.
٦. الإمالة للإمالة؛ نحو: رأيت عمادا، بإمالة الألف الأخيرة المبدلة من التّنوين بسبب إمالة الألف الأولى^(٣).

(١) القراءات القرآنيّة بين العربيّة والأصوات اللّغويّة منحه لسانى معاصر ٤٢-٤٣.

(٢) النّشر ٣٢/٢، الممع ١٨٧/٦. اختلف العلماء في أيّها أقوى؟ فذهب ابن السّراج إلى أنّ الياء أقوى من الكسرة؛ لأنّها حرف والكسرة بعضها، في حين ذهب بعضهم إلى أنّ الكسرة أقوى؛ لكونها تجلب الإمالة ظاهرة ومقدّرة واستدلّوا على ذلك بأنّ أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة، ولا يميلونها للياء، إلى جانب أنّ نطق الكسرة أثقل من نطق الياء؛ التي ليست مدّة، وإن كانت مدّة، فالكسرة معها. ينظر: ممع الهوامع ١٨٧/٦.

(٣) الأصول ٣/١٦٠-١٦٣، النّشر ٣٢-٣٥.

ونقل عن سيبويه أنه زاد ثلاثة أسباب أخرى شاذة هي:

٧. إمالة الألف المشبهة بالألف المشبهة بالمتقلبة؛ نحو: طَلَبْنَا تشبيهاً بألف

حبل.

٨. الإمالة للفرق؛ نحو: با، تا في حروف المعجم فرقا بين الاسم والحرف.

٩. الإمالة لكثرة الاستعمال؛ نحو: النَّاس، والحجَّاج.^(١)

ومن شواهد الإمالة ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢). حيث قرأ حمزة بخُلْف عن خلاد بإمالة (ضعافا)^(٣) يقول ابن يعيش: "الإمالة فيها حسنة؛ لأنَّ الكسرة أدنى إلى المستعلي من الألف، والكسرة توهي استعلاء المستعلي، والنَّصَب جيّد، والإمالة أجود"^(٤).

ومن شواهد الإمالة قوله تعالى: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رُؤُوسًا﴾^(٥) حيث قرأ أبو عمرو والكسائي في رواية الدَّورِيِّ بالإمالة في الكافرين^(٦). يقول سيبويه: "واعلم أن قوما من العرب يقولون: الكافرون، ورأيت الكافرين، والكابر، وهي المنابر، لما بعدت، وصار بينها وبين الألف حرف لم تقو قوة المستعلية؛ لأنَّها من موضع اللام وقريبة من الياء، ألا ترى أن الألف يجعلها ياء، فلمَّا كانت كذلك عملت الكسرة عملها، إذ لم يكن بعدها ياء"^(٧). ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ

(١) الإقناع / ١ / ٢٦٩.

(٢) النِّسَاء ٩.

(٣) السَّبْعَة ٢٢٧.

(٤) شرح المفصَّل ٩ / ٦٠.

(٥) الطارق ١٧.

(٦) الكشف / ١ / ١٧٣، إتخاف فضلاء البشر ٢ / ٦٠٢.

(٧) الكتاب ٤ / ١٣٦-١٣٧.

يُبَشِّرُكَ ﴿^(١)﴾؛ حيث قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بإمالة (المحراب)^(٢). يقول مكِّي القيسي: "أماهما للكسرة التي بعد الألف، وهو ضعيف من وجهين: أحدهما أن الرَاء إذا انفتحت قبل الألف تمنع الإمالة. والثاني: أن الكسرة إعراب غير لازمة، لكن تتقوى إمالة (المحراب) قليلاً؛ للكسرة التي على الميم، وللكسرة على الباء، وكلاهما يوجب الإمالة، فلما اجتمعا قويت الإمالة بعض القوة"^(٣).

ومن الشواهد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾^(٤) قرأ الكسائي بالإمالة في (تلاها)^(٥) يقول ابن خالويه: "فإن قال قائل: لم زعمت أن (تلا) من ذوات الواو، وقد أمالها الكسائي؟ فالجواب لأنَّ السُّورَةَ إذا كانت رؤوس آياتها من ياءات نحو: (ضحاهها) و(جلاها) و(تلاها) تبعها ما كان من ذوات الواو"^(٦). وذهب الرضِّي إلى أنَّ إمالة الألف للتناسب لها صورتان؛ الصُّورة الأولى: أن تمال لمجاورة ألف ممالة كإمالة ثاني الألفين في نحو رأيت عمادا. أمَّا الصُّورة الثانية: أن تمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره"^(٧).

والإمالة مظهرٌ من مظاهر الانسجام الصَّوتيِّ بين الأصوات، جاءت لضرب من التَّخفيف والتَّيسير والاقتصاد في الجهد العضلي؛ يقول سيبويه: "إجنح الألف

(١) آل عمران ٣٩.

(٢) السبعة ٢٠٥.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١٧٢.

(٤) الشَّمس ٢.

(٥) السبعة ٦٨٨، النَّشْر ٢ / ٣٧.

(٦) إعراب ثلاثين سورة ٩٦.

(٧) شرح الشافية ٣ / ١٣.

أخفٌ عليهم، يعني الإمالة"^(١). ويقول أبو عمرو الدَّانِي: "الإجماع على أنَّ الإمالة لغة لقبائل العرب دعاهم إلى الذَّهاب إليها التماس الحَقَّة"^(٢).

وهذا ما يؤيده الدَّرْس الصَّوْتِيّ الحديث؛ يقول د. إبراهيم أنيس: "يلعب الانسجام بين أصوات اللِّين دورا هاما في معظم لغات البشر، وهو من التَّطَوُّرات الحديثة التي تميل إليها اللُّغات بصفة عامَّة. وقد اعترف به القدماء من علماء العربيَّة، وسموه في باب الإمالة بالتَّناسب"^(٣).

والإمالة من الأحرف السَّبَّعة، وهي من لحون العرب وأصواتها، ومن مذاهبها وطباعها"^(٤). وقد عُرِّيت هذه الظَّاهرة لتميم، وقيس، وأسد^(٥) في حين عزي الفتح لأهل الحجاز"^(٦)، ومع أنَّ لغة الفتح تنسب إليهم إلا أنَّه قد ورد عنهم الإمالة في مواضع قليلة^(٧)، من نحو: (النَّاسِ) في حال الجُرِّ"^(٨). وعلَّل سيبويه لذلك بقوله: "اعلم أنَّه ليس كلُّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممَّن يميل، ولكنَّه قد يخالف كلُّ واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه، وكذلك من كان النَّصْب من لغته لا يوافق غيره ممَّن ينصب... فإذا رأيت عربيًّا كذلك، فلا تريئه خلط في لغته، ولكنَّ هذا من أمرهم"^(٩).

(١) الكتاب ٣ / ٢٧٨، وينظر: المقتضب ٣ / ٤٩، والنَّشر ٢ / ٣٥.

(٢) منجد المقرئين ٢٣١.

(٣) في اللِّهجات العربيَّة ٦٨.

(٤) إبراز المعاني ٢٠٤.

(٥) شرح المفصل ٩ / ٥٤، ارتشاف الصَّرْب ٢ / ٥١٨، النَّشر ٢ / ٣٠.

(٦) المراجع السَّابقة.

(٧) الكتاب ٤ / ١٢٠، التَّصريح بمضمون التَّوضيح ٢ / ٣٤٧.

(٨) النَّشر ٢ / ٦٣.

(٩) الكتاب ٤ / ١٢٥.

المبحث الرابع: همزة بين بين

هي التي بين الهمزة وحرف اللين الذي منه حركتها؛ فإن كانت مفتوحة، فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة، فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة، فهي بين الهمزة والواو، يقول سيبويه: "اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحةً فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققةً، غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي؛ لأنك تقرها من هذه الألف. وذلك قولك: (سال) في لغة أهل الحجاز، إذا لم تحقّق كما يحقّق بنو تميم، وقد قرأ قبل، بين بين.

وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة، كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة. ألا ترى أنك لا تتم الصوت - ههنا - وتضعفه؛ لأنك تقرها من الساكن، ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن، وذلك قولك: يئس وسئم، وإذ قال إبراهيم وكذلك أشباه هذا. وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة، صارت بين الهمزة والواو الساكنة. والمضمومة قصتها وقصة الواو قصة المكسورة والياء، فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه"^(١).

ووصف القرطبي البينية بقوله: "حقيقة البينية فيها أن يشار إليها بالصّدر إن كانت مفتوحة، وإن كانت مكسورة جعلت كالياء المختلصة الكسرة، وإن كانت مضمومة جعلت كالواو المختلصة الضمة، وهذه الحركة المختلصة هي التي كانت مع الهمزة، إلا أنّها مع الهمزة تكون أشبع منها مع الحرف المجعول خلفاً منها"^(٢). وسميت بذلك لضعفها؛ إذ "ليس لها تمكين المحققة، ولا خلوص الحرف؛ الذي منه حركتها"^(٣). وذهب ابن يعيش إلى أن أمر هذه الهمزة لا ينكشف إلا

(١) الكتاب ٣/ ٥٤١-٥٤٢، وينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨.

(٢) الموضح في التجويد ٨٢.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٩.

بالمشافهة؛ لأنه أمر صوتي لا يُلاحظ إلا بالمشافهة^(١). وليس لهذه الأنواع من الهمز المخفّف رمز كتابي في الخطّ العربيّ إلا ما كان من رسم المصحف الكريم؛ حيث رمزوا لها بنقطة كبيرة هكذا (٠). ولا يتمكّن قارئ من قراءتها ما لم يعرف ذلك بالسّماع والمشافهة^(٢).

ويُلاحظ أنّ سيبويه يعدّ همزة (بين بين) حرفاً واحداً، في حين يذهب عبدالوهاب القرطبيّ إلى أنّه "ينبغي على التّحقيق أن تُعدّ ثلاثة أحرف؛ وذلك لأنّ همزة بين بين، هي الهمزة التي تجعل بين الهمزة، وبين الحرف الذي منه حركتها؛ فإذا كانت الهمزة مكسورة فجعلت (بين بين)؛ فهي بين الهمزة وبين الياء؛ كقولنا في سيم: سيم (بين بين). وإن كانت مضمومة، فجعلت (بين بين)؛ فهي بين الهمزة وبين الواو؛ كقولنا في لوم: لوم (بين بين). وإذا كانت مفتوحة، وجعلت كذلك؛ فهي بين الهمزة والألف؛ كقولنا في سأل: سأل. ولمّا كان كلّ واحد من هذه الحروف الثلاثة غير الآخر، وجب أن يكون الحرف الذي بينه وبين الهمزة غير الحرف الذي بين الهمزة وبين الآخرين"^(٣). وتابعه في ذلك ابن الحاجب^(٤).

وذهب أبو حيّان إلى أنّ "كلا القولين صواب؛ لأنك إن أخذتها من حيث مطلق التّسهيل، فهي حرف واحد، وإن أخذتها من حيث التّسهيل الخاص كانت ثلاثة أحرف"^(٥).

وذكر الرّضيّ أنّ همزة (بين بين) تنقسم إلى قسمين:

(١) شرح المفصل ٩/ ١١٢.

(٢) اللّهجات العربيّة والقراءات القرآنيّة ٢٩٩.

(٣) نفسه.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٥٤.

(٥) همع الهوامع ٦/ ٢٩٤.

أحدهما: (بين بين) القريب؛ وهو الذي تجعل فيه بين الهمزة، وبين حرف المدّ الذي منه حركتها.

والآخر: (بين بين) البعيد؛ وهو الذي تجعل فيه بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة ما قبلها^(١).

وذهب سيبويه إلى أنّ همزة (بين بين) تخرج من بين الهمزة وحرف المدّ الذي منه حركتها^(٢). وتابعه من المحدثين د. أحمد علم الدين الجندي، حيث ذهب إلى أنّ همزة (بين بين) لا تتكوّن في أقصى الحلق؛ حيث تتكوّن الهمزة الأصليّة، بل تتكوّن بين الحلق والجوف؛ الذي تخرج منه حروف المدّ؛ لذلك يطلق عليها (بين بين)، وصوت هذه الهمزة صوت ضعيف جدا^(٣).

وذهب د. تمام حسّان إلى أنّ هذه الهمزة تخرج من نفس مخرج المحقّقة إلا أنّ الفارق بينهما أنّ إفعال الأوتار الصّوتيّة قد لا يكون تامّا حال النّطق بهمزة (بين بين)، بل هو إفعال تقريبي^(٤).

وذكر سيبويه أنّ همزة (بين بين) ترد في موضعين:

أحدهما: أن تكون الهمزة متحرّكة بأيّ حركة شريطة أن يفتح ما قبلها.

والآخر: أن تكون مكسورة أو مضمومة وما قبلها مكسور أو مضموم.

كما أنّها تكون في كلمة، كما تكون في كلمتين^(٥).

(١) شرح الشافية ٣ / ٣١، ٤٦.

(٢) الكتاب ٣ / ٥٤١.

(٣) اللّهجات العربيّة في التّراث ١ / ٣٢٣.

(٤) مناهج البحث في اللّغة ١٢٥.

(٥) الكتاب ٣ / ٥٤١-٥٤٢.

ويشترط فيها أن تكون متحرّكة؛ لأنَّ السَّكَّنة لا تخفَّف (بين بين)؛ وذلك أنَّه لا حركة لها حتى تجعل بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها^(١).

ووصف د. إبراهيم أنيس هذه الحالة بأنَّها سقوطٌ للهمزة من الكلام، تاركة حركة وراءها، وأنَّ ما نسمعه لا يمتُّ إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين قصير، يسمَّى عادة حركة الهمزة^(٢). وتابعه في ذلك د. عبدالصَّبور شاهين؛ الذي أثبت ذلك من خلال بعض التجارب المعملية على جهاز السِّيكتوجراف^(٣).

وذهب د. عبدالصَّبور شاهين إلى أنَّه ليس من الصَّواب أن يقال: هذه همزة مسهَّلة، أو هذه بين بين، أو هذه همزة مقلوبة؛ معللاً ذلك بأنَّه لا وجود للهمزة في هذه الحالات؛ لأنَّ وضع الحنجرة لدى النُّطق بهذه الحالات يتغيَّر إلى وضع آخر غير وضع الهمزة^(٤).

وذهب د. فوزي الشَّايب إلى أنَّ هذه الهمزة، ليست سوى تتابع لحركتين قصيرتين تفصل بينهما وقيفة؛ حيث تسقط الهمزة في النُّطق، ويحلُّ محلَّها وقيفة تفصل بين الحركتين اللَّتين تكتنفانها^(٥).

ومن شواهد همزة بين بين:

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ كَمْ﴾^(٦) حيث قرأ نافع^(٧)، وأبو جعفر^(٨) بتخفيفها بين بين،

بين،

(١) الكشف / ١ / ١٠٢، شرح المفصل / ٩ / ١٠٧.

(٢) الأصوات اللُّغوية ٩١.

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللُّغة الحديث ١٠٥.

(٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٦٨.

(٥) أثر القوانين الصَّوتية في بناء الكلمة العربية ٣٥١.

(٦) الأنعام الآيتين ٤٧، ٤٠.

(٧) السَّبعة ٢٥٧، النُّشر / ١ / ٣٩٧.

كما رويت عن ورش من طريق الأصبهاني^(١).

كذلك قرئ بالتخفيف بين بين في الهمزة الثانية الواقعة بعد همزة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾^(٣)، كما قرئ بتخفيف الهمزة بين بين في قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ﴾^(٤) وقد نسبت القراءة في كل ما سبق إلى الأصبهاني عن ورش^(٥).

ومن شواهد همزة بين بين قوله تعالى: ﴿يَتُودُهُ﴾^(٦) روى أبو بكر عن عاصم تخفيفها^(٧).

كما ورد تخفيف الهمزة المتحركة إذا جاءت بعد ألف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِسْرَائِيلَ﴾^(٨) ونسبت القراءة بذلك إلى أبي جعفر في هذا اللفظ حيث وقع^(٩) ووافقته المطوَّعِي عليه عن الأعمش^(١٠).

(١) النَّشْرُ ١/٣٩٧، الإتحاف ١/٢٠٦.

(٢) الإتحاف ١/٢٠٦.

(٣) الأعراف الآية ٩٧.

(٤) الأعراف الآية ٩٩.

(٥) الأعراف الآية ٤٤.

(٦) النَّشْرُ ١/٣٩٨، الإتحاف ١/٢٠٦.

(٧) البقرة ٢٥٥.

(٨) الإقناع ١/٣٨٣.

(٩) سورة المائدة الآيات ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠. وسورة الأعراف الآيات ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨.

(١٠) النَّشْرُ ١/٤٠٠، والإتحاف ١/٢٠٧.

(١١) الإتحاف ١/٢٠٧.

وعلّل سيبويه لورود الهمزة على هذه الصّورة بقوله: "فإنّما جعلت هذه الحروف (بين بين) ولم تجعل ألفات، ولا ياءات، ولا واوات؛ لأنّ أصلها الهمز، فكرهوا أن يخفّفوا على غير ذلك، فتحوّل عن بابها، فجعلوها (بين بين) ليُعَلِّموا أنّ أصلها عندهم الهمز"^(١). في حين يرى مكّي بن أبي طالب القيسي أنّ العلة في ذلك أنّ الهمزة لما تحرّكت أصبحت قويّة بحركتها، لا كالساكنة؛ لذلك كان تدبيرها بحركتها أولى من تدبيرها بحركة ما قبلها، ولو جرّت على البدل، لجرّت على حكم ما قبلها، فكانت حركتها أولى بها"^(٢).

ولصعوبة النطق بالهمزة فقد حدّر ابنُ الجزريّ من أن ينطق بها القارئ كالمتهوِّع، وبخاصّة إذا وليها مجانس أو مقارب؛ من نحو: أعود، أحطت، اهدنا^(٣). واختلف العلماء في الهمزة المخفّفة (بين بين) من حيث الحركة والسكون على ثلاثة أقوال:

الأوّل: القول بأنّها متحرّكة، وهي بوزنها محقّقة، وهو رأي البصريين^(٤).

الثاني: القول بسكونها، وهو رأي الكوفيين^(٥).

الثالث: القول بأنّها لا متحرّكة، ولا ساكنة، قاله ثعلب^(٦).

وعرض أبو البركات الأنباريّ لحجج الفريقين^(٧)؛ إذ استدلّ البصريّون بما يلي:

(١) الكتاب ٣/ ٥٤٢.

(٢) الكشف ١/ ١٠٣.

(٣) الشّشر ١/ ٢١٦.

(٤) الكتاب ٣/ ٥٤٩-٥٥٠، المقتضب ١/ ١٥٧، إعراب القرآن للنّحاس ٤/ ٣٣٤، ٥/ ٢٩٥، الإنصاف

(٢/ ٧٢٦-٧٣١، شرح المفصل ٩/ ١٠٩، ١١٣.

(٥) الإنصاف ٢/ ٧٢٦.

(٦) إعراب القرآن للنّحاس ٤/ ٣٣٤.

(٧) الإنصاف ٢/ ٧٢٦-٧٣١.

١ - وقوعها مخففة بين بين في الشَّعر، وبعدها ساكن في الموضع الذي لو اجتمع فيه ساكنان لانكسر البيت، ومن ذلك قول الأعشى^(١):
أَنَّ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَهُ رَيْبُ الزَّمَانِ وَدَهْرٌ مَفْسِدٌ حَبِيبٌ

فالنون (أن) ساكنة، وقبلها همزة مخففة، ولو جاءت ساكنة؛ لاجتمع الساكنان، ومحال التقاؤهما في هذا الموضع.

٢ - استثقال اجتماع الهمزتين، ففرّوا من هذا الثقل بأن قرّبوا هذه الهمزة من حرف العلة، وهذا لا يوجب خروجها عن أصلها من كل وجه، ولا سلب حركتها عنها بالكلية.

أمّا الكوفيون فاحتجّوا بأنّ همزة (بين بين) لا يجوز أن تقع مبتدأة، وهذا دليل على سكونها؛ لأنّ الساكن لا يتدأ به.

ودفع البصريون ذلك بأنّها لم تقع مبتدأة؛ لأنّ الابتداء يكون بما تمكّنت فيه حركته، وحين تكون الهمزة (بين بين) يزول تمكّنها، وتقرب من الساكن، وكما لا يجوز الابتداء بالساكن لا يجوز الابتداء بما قرب منه. ودلّوا على ذلك بـ "أثمّهم لم يخرموا متفاعلين من الكامل، وهو حذف الحرف الأوّل، كما خرّموا فاعولن؛ لأجل أنّ متفاعلين يسكن ثانيه إذا أضمر، والإضمار إسكان الثاني، فكان يبقى متفاعلين، فينقل إلى مستفعلن، فلو خرّموه في أوّل البيت؛ لأدّى ذلك إلى الابتداء بالساكن في حال؛ فجرى خرّمه مجرى خرّم مستفعلن؛ فلمّا كان يفضي إلى الابتداء بالساكن رفضوه، فكذلك ها هنا: لما قربت من الساكن بجعلها بين بين رفضوا الابتداء بها"^(٢).

(١) ديوان الأعشى ٥٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥

(٢) الإنصاف ٢/ ٧٣٠-٧٣١.

ويقول ابنُ يعيش: "وهي عندنا، وإن كانت في حكم المتحرّكة، فهي ضعيفة ينحى بها نحو السّاكن، ولذلك لا تقع همزة (بين بين) في أوّل الكلام، ولا تقع إلا حيث يجوز وقوع السّاكن غير الألف"^(١).

وأما ما ذهب إليه ثعلب من أنّ همزة (بين بين) لا متحرّكة، ولا ساكنة، فقد ردّه النّحاس واصفا ذلك بالمحال؛ "لأنّها إذا لم تكن ساكنة، فهي متحرّكة، وإذا لم تكن متحرّكة، فهي ساكنة، فيجب على قوله أن تكون ساكنة متحرّكة"^(٢). وذكر أنّ "همزة بين بين كثيرا ما يغلط فيها، وهي من أصعب ما في النحو"^(٣).

والذي يظهر لي رجحان مذهب البصريين؛ لما سبق من الأدلة ولإمكان الرد على مذهب الكوفيين.

(١) شرح المفصّل ١٠٩/٩.

(٢) إعراب القرآن ٥/٢٩٥.

(٣) السّابق ٥/٢٩٥-٢٩٦.

المبحث الخامس: الشين التي كالجيم

وهو صوت بين الشين والجيم^(١)، من نحو قولهم: أجدق في أشدق^(٢).
يقول ابن جنّي: "أمّا الشين التي كالجيم، فهي الشين التي يقلُّ تفشيها
واستطالتها، وتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم"^(٣).
ووصفها أبو حيان بأنها فرع عن الجيم الخالصة^(٤)، ويشترط فيها أن تكون
الشين ساكنة قبل الدال^(٥).

وذهب مكّي بن أبي طالب القيسيّ إلى أنّ هذا الصّوت هو الذي يبدل من كاف
المؤنث؛ حيث يبدل شينا يخالط لفظ الجيم مدللاً على ذلك بقول ابن دريد في وصف
ظاهرة الكشكشة؛ حيث يقولون في (غلامك): (غلامش)؛ يجعلون الكاف بين الشين
والجيم^(٦). يقول ابن دريد: "وإذا اضطرَّ هذا الذي هذه لغته قال: جيدش وغلامش
بين الجيم والشين، لم يتهياً له أن يفرده، وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب
عنها"^(٧).

ويلاحظ من نصّ ابن دريد أنّ هذا من الحروف المرغوب عنها؛ أي: المستقبحة،
ولعله قصد بذلك الجيم التي كالشين، وهذا ظاهر من النصّ السابق.
وقد علل العلماء لهذا التغيّر بأنّ الشين الساكنة إذا وقعت قبل الدال، وهو
صوت مجهور شديد، في حين أنّ الشين صوت مهموس رخو، وهذا يتنافى مع جوهر

(١) الرعاية ٢١١.

(٢) ارتشاف الصّرب ١/١٣.

(٣) سرّ صناعة الإعراب ١/٥٠.

(٤) ارتشاف الصّرب ١/١٣.

(٥) شرح الشافية ٣/٢٥٦.

(٦) الرعاية ٢١١-٢١٢.

(٧) الجمهرة ١/٤٣.

الدَّال، فتشرب الشَّين صوت الجيم التي تتَّفَق مع الدَّال في صفتي الجهر والشَّدَّة^(١). يقول السُّيوطي: "قَرَّبوا الحرف الضَّعيف من الحرف القويِّ في جعلهم الشَّين كالجيم، فلذلك كان من الفروع المستحسنة؛ وذلك أنَّ الجيم حرف شجريٍّ من وسط اللِّسان، مجهور، شديد، منفتح، متقلقل، فهو حرف قوي؛ لجهره، وشدَّته، والشَّين حرف ضعيف؛ لهمسه، ورخاوته، واستفاله، وفيه بعض القوَّة؛ لتفشيته، فلذلك كان تقريبه من الجيم مستحسنا"^(٢).

وذهب مكِّي القيسيِّ إلى أنَّ هذا الصَّوت لم يستعمل في القرآن^(٣). في حين قصر الرِّضِّي عدم القراءة بها على المشهور من القراءات^(٤). ولم يذكر لذلك شاهداً. وهو صوت مسموع في بعض اللِّهجات المحليَّة؛ حيث ورد في لهجة بعض المصريين^(٥)، كما ورد - أيضاً - في اللِّهجة السُّوريَّة واللِّبنايَّة^(٦)، ويُلحظ أنَّ الجيم التي كالشَّين؛ من نحو: (اجتمعوا)، و(أجدر)، قد وُصفت بأنَّها صوت مستهجن؛ يقول الرِّضِّي: " وإنَّها استهجن الجيم التي كالشَّين؛ لأنَّها إنَّما يفعل ذلك بها إذا سكنت، وبعدها دال أو تاء؛ نحو: اجتمعوا وأجدر، وليس بين الجيم والدَّال، ولا بينها وبين التَّاء تباين، بل هما شديدتان، لكنَّ الطَّبع ربَّما يميل لاجتماع الشَّديدين إلى السَّلاسة واللِّين؛ فيشرب الجيم ما يقاربه في المخرج؛ وهو الشَّين، فالفرار من المتنافيين

(١) شرح الشَّافية ٢٥٦/٣.

(٢) همع الموامع ٤٩٣/٣.

(٣) الرِّعاية ٢١١.

(٤) شرح الشَّافية لركن الدِّين ٩٢٠/٢.

(٥) الأصوات اللُّغويَّة ٦٩.

(٦) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها ٥٢.

مستحسن، والفرار من المثليين مستهجن، فصار الحرف الواحد مستحسناً في موضع،
ومستهجناً في موضع آخر"^(١).

(١) شرح الشافية للرضي ٢٥٦ / ٣

المبحث السادس: الصاد التي كالزاي

يطلق المبرّد على هذا الصّوت " الحرف المعترض بين الصّاد والزّاي" ^(١) في حين أطلق عليه ابن سينا الزّاي الطّائية ^(٢). " وذهب الجعبريُّ إلى أنّه " يعبر عنه بصاد بين، وصاد كزاي، وعصر الصّاد، أي ضغطها عن مخرجها" ^(٣). وفيه تُشرب الصّاد شيئاً من صوت الزّاي، فتصير بين بين ^(٤). ووصف ابن يعيش مخرجه بقوله: "أمّا المضارعة فإنّ تنحو بالصّاد نحو الزّاي، فتصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصّاد ومخرج الزّاي" ^(٥). وفيه يقلُّ همس الصّاد قليلاً، ويحدث فيه ضرب من الجهر لمضارعة الزّاي. كما يميل فيها الصّوت إلى الإطباق؛ يقول العكبريُّ: "من أشمّ الصّاد زايا قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق" ^(٦).

وفيه يكون وسط اللّسان أرفع، والاهتزاز في طرفه خفيّ، وهو ما يشبه الطّاء في العامية المصريّة ^(٧).

ومن الشّواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا سَيْحٌ كَبِيرٌ﴾ ^(٨). حيث قرأ حمزة والكسائي بإشمام الصّاد صوت الزّاي ^(٩).

(١) المقتضب ١/ ١٩٤.

(٢) أسباب حدوث الحروف ١٩.

(٣) كنز المعاني ورقة ٤٢.

(٤) شرح المفصل ١٠ / ٥٣.

(٥) شرح المفصل ١٠ / ٥٣.

(٦) التّبيان في إعراب القرآن ٨ / ١.

(٧) اللّهجات العربيّة في التّراث ١ / ٤٥٠، التّطور اللّغويّ ٤٧.

(٨) القصص ٢٣.

(٩) إتخاف فضلاء البشر ٢ / ٣٤٢.

وزهب ابن جنّي إلى أنّ هذا الصّوت مربوط بسياق صوتيّ معيّن، وهو أن تقع الصّاد قبل الدّال، فإن وقعت قبل غيرها لم يجز ذلك^(١).

ولست معه في ذلك؛ حيث ورد إشمامها، ولم يرد في الكلمة صوت الدّال، ولعلّ المقصود من ذلك أن يكون بعدها - أعني الصّاد - صوت مجهور؛ حيث قرأ حمزة قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٢) بصاد مُشَمَّة صوت الزّاي^(٣).

ومن ذلك - أيضا - قوله تعالى: ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤) حيث قرأ أبو عمرو وحمزة بالإشمام^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)؛ حيث قرأ حمزة بالإشمام^(٧).

وذكر ابن عطية أن حمزة يلتزم ذلك في المعرفة دون النكرة^(٨).
وزهب أبو عليّ الفارسيّ إلى أن من قرأ بالمضارعة بين الزّاي والصّاد رام الخفّة؛ حيث لم يجعلها زايا خالصة، ولا صادًا خالصة؛ حتى لا يلتبس بأحدهما^(٩).

ويلاحظ أن الإشمام - هنا - قد ورد رغم بُعد الطّاء عن الصّاد؛ لذلك يقول أبو عليّ الفارسيّ: "ويضارع بها - أيضا - إذا بُعدت؛ نحو: مصادر، والصّراط... فوفّقوا بين الحرفين مع حجز ما حجز بينهما من الحروف، وكأنّه أحبّ أن يشاكل بهذه

(١) سرّ صناعة الإعراب / ١ / ٥٠.

(٢) الغاشية ٢٢.

(٣) السّبعة ٦٨٢.

(٤) الفاتحة ٦.

(٥) السّبعة ١٠٥-١٠٦.

(٦) الأنعام ١٥٣.

(٧) السّبعة ٢٧٣.

(٨) المحرّر الوجيز / ١ / ٧٩.

(٩) الحجّة للقراء السّبعة / ١ / ٥٠.

المضارعة؛ ليكثر بذلك تناسب أحد الحرفين إلى الآخر؛ فأشرب الصَّاد صوت الزَّاي لذلك^(١).

وذهب مكِّي القيسي إلى أنه: "لما رأى الصَّاد فيها مخالفة للطَّاء في الجهر؛ لأنَّ الصَّاد حرف مهموس، والطَّاء حرف مجهور، أشمَّ الصَّاد لفظ الزَّاي؛ للجهر الذي فيها، فصار قبل الطَّاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر؛ اللذين هما من صفة الطَّاء"^(٢).

وانتقد أبو عليّ لغة الإشمام - هنا - بقوله: "وأما القراءة بالمضارعة؛ التي بين الزَّاي والصَّاد، فعدلت عن القراءة بها؛ لأنَّها تكلف حرف بين حرفين، وذاك أصعب على اللسان؛ لأنَّه إنَّما استعمل في هذه الحال فقط، وليس هو بحرف يبنى عليه الكلم، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب"^(٣).

ويُلاحظ من قول أبي عليّ الفارسي أنه من كلام العرب الفصحاء. ووصفه بالصَّعوبة على اللسان إلى جانب أنه لا يعدُّ من حروف المعجم.

ووصف د. سمير استيتية كيفية النطق بصوت الصَّاد الخالصة، والصَّاد المشمَّة صوت الزَّاي، فحين النطق بالصَّاد يتعد الوتران الصَّوتيان، فيسير الهواء بحريَّة دون تذبذب الوترين. وتتراوح سرعة الهواء ما بين ٢٠٠-٣٠٠ سم/ث غالبا. أمَّا حال النطق بالصَّوت المجهور كالذَّال فإنَّ الوترين تقتربان حتى تكون المسافة بينهما غير كافية لمرور الهواء بحريَّة فيفرقهما الهواء ثم يقتربان ثم يبتعدان وتكرر العمليَّة وتتراوح مرات الذبذبة ما بين ١٤٠-١٦٠ ذبذبة في الثانية عند الرجال وما بين ٢٤٠-٢٦٠ عند النساء وسرعة الهواء ما بين ٢٠٠-٧٠٠ سم/ث.

(١) السَّابق ١ / ٥٤-٥٥.

(٢) الكشف ١ / ٣٤.

(٣) الحجَّة للقراء السبعة ١ / ٥٠.

وقام بقياس الترددات لنطق كلمة (يصدر) حال كونها صادًا خالصة، وحين تنطق بالإشمام. حيث بلغت ترددات الصَّاد الخالصة في المستوى الترددي الأوَّل ٢.٢٢ هرتز، أمَّا عند نطقها بالإشمام فقد بلغت تردداتها في المستوى الترددي الأوَّل ٢.٤ هرتز؛ أي: بفارق مقداره ١٨ هرتز؛ أي: أنَّ ترددات الصَّاد تقلُّ في المستوى الترددي الأوَّل حال إشمامها.

بلغ أعلى تردد للصاد الخالصة في (يصدر) ٤٨٧ هرتز، وبلغ أعلى تردد عند نطقها بالإشمام ٤٢٨ هرتز؛ أي: بفارق مقداره ٥٩ هرتز، وهذا يدلُّ على أنَّ أعلى تردد للصاد في (يصدر) ٣٩٣ هرتز. وبلغ معدله عند نطق الصَّاد المشمَّة صوت الزَّاي ٣٣٢ هرتز أي بفارق ٦١ هرتز. وهذا يعني أنَّ معدل الترددات يقل عند نطق الصَّاد المشمَّة زايا.

وبلغت نسبة الاضطراب الموجي عند نطق الصَّاد المهموسة ٢٨.٥٠٪، وبلغت عند نطق الصَّاد المشمَّة زايا ٢٦.٩٥٪ أي أنَّها تقلُّ بنسبة ١.٩٧٪.

هناك فجوة صوتية بين الصَّاد والدَّال في (يصدر) يحدث فيها توقُّف سريع لتيار الهواء عند نطق الصَّاد الخالصة؛ حيث بلغت نسبته ٢٨.٧٩٪، في حين بلغت نسبته حال النطق بالصاد المشمَّة زايا ٧١.٠١٪ أي بفارق كبير مقداره ٨٠.١٨٪. وهو أكبر من نسبة التوقُّف التي تطرأ على تيار الهواء عند نطق الصَّاد الخالصة.

وخلص إلى أنَّ إشمام الصَّاد صوت الزَّاي له ما يسوِّغه من الناحية الصوتية الأكوستيكية؛ حيث تنخفض درجة الترددات الصوتية في المستوى الترددي الأوَّل، كما يقلُّ أعلى تردد، وتنخفض نسبة الاضطراب الموجي، ودرجة الفجوة الهوائية^(١).

(١) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر ٢١٠-٢١٢.

وعُزِّي هذا الأداء لبعض قيس^(١)، وقيل لقيس عامة^(٢). ولعلّها كانت في بعضهم، ثم انتشرت، وشاع استعمالها؛ يقول ابن فارس: "وهي - يعني الظاهرة اللُّغويّة - وإن كانت لقوم دون قوم إلا أنّها لما انتشرت تعاورها كلُّ"^(٣).
 وذهبت د. صالحه آل غنيم إلى أنّ قبيلة قيس تُعدُّ من القبائل العظيمة، منها ما كان موغلا في البداوة، ومنها من احتكَّ بالحاضرة، ورَجَّحت أنّ أصحاب هذه اللُّغة هم ممَّن احتكَّ بالبيئات الحضريّة، وهم بذلك يمثّلون مرحلة وسطا بين الحضريّ؛ الذين عرفوا بإعطاء الأصوات حقّها، وبين أهل البادية؛ الذين فرضت عليهم ظروف حياتهم التّقريب بين الأصوات؛ ليسهل أدائها^(٤).

(١) إعراب القرآن للنّحاس ١ / ١٧٤.

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥.

(٣) الصّاحبي ٣١.

(٤) اللّهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ٢٤٦.

المبحث السابع: اللام المفخّمة

تعدُّ اللام المفخّمة من الأصوات الفرعيّة المستحسنة^(١). ويفهم من قولنا: إنّ اللام المفخّمة من الفروع المستحسنة أنّ التّريق هو الأصل، وهذا هو رأي جمهور القُراء، يقول القيسي: "التّريق هو الأصل، ألا ترى أنّه لا يجوز تفخيم كلّ لام، ولا يجوز تريق كلّ لام، فالأعم هو الأصل، والتّفخيم في اللام داخل فيها لما ذكرت لك من مقاربتها للرّاء والنّون في المخرج، وأيضا فإنّ التّريق عليه كلّ القُراء فإجماعهم حجّة"^(٢).

ويفرّق العلماء بين التّفخيم في اللام والرّاء من حيث المصطلح، فما يكون في اللام يوصف بالتّفخيم، في حين ما يكون في الرّاء يوصف بالتّغليظ^(٣).
 وذهب أبو حيّان إلى أنّها فرع عن اللام المتوسّطة بين التّريق والتّفخيم^(٤).
 وذهب تشارلز فيرغسون إلى عدّ اللام المفخّمة فونياً مستقلاً عن المرفّقة^(٥).
 وتابعه في ذلك د. أحمد مختار عمر^(٦)، ود. سلمان العاني^(٧). وذهب الأستاذ سعيد الغانمي إلى أنّ لام التّفخيم لا تعدّ فونياً مستقلاً إلا في لفظ الجلالة^(٨).
 ووصف د. إبراهيم أنيس الفرق بين اللام المفخّمة والمرفّقة بأنّه كالفرق بين الدّال والضّاد، أو التّاء، والطّاء إلا أنّ الرّسم العربي لم يرمز إلى اللام المفخّمة برمز

(١) الموضح في التّجويد ٣٣.

(٢) الكشف ١ / ٢١٩ - ٢٢٠، والنّشر ٢ / ١١١.

(٣) النّشر ٢ / ٩٠.

(٤) ارتشاف الضّرب ١ / ١٣.

(٥) رأي اللام المفخّمة فونياً، مجلة المورد ع ١، مج ١٩، ص ٢٥٠.

(٦) دراسة الصوت اللغوي ٣٣١.

(٧) التّشكيل الصّوقي ٤٨.

(٨) رأي اللام المفخّمة فونياً، مجلّة المورد ع ١، مج ١٩، ص ٢٥٠.

خاص؛ لهذا نعدُّ نوعي اللام صوتا واحدا، في حين عُدَّت التَّاء صوتا مستقلا عن الطَّاء، ذلك أنَّ اللام المفخَّمة يتَّخذ اللِّسان معها شكلا مقعَّرا، كما هو الحال مع أصوات الإطباق^(١).

ويذهب الباحث إلى أنَّه لا فرق بين اللام حال تفخيمها عنها حال التَّرقيق إلا أنَّها في الأول ذات قيمة تفخيميَّة، وهي تنوُّع صوتيُّ (ألفون) لصوت اللام، وهي تنوُّعات ليس لها أثر في تغيُّر المعنى، في حين لو تغيَّرت الوحدة التَّقسيميَّة؛ لأدَّى ذلك إلى اختلاف المعنى^(٢).

ويكون تفخيمها إذا وليت الصَّاد، أو الضَّاد، أو الطَّاء، من نحو قوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا﴾^(٣) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾^(٤) ﴿الْمَلَّةُ﴾^(٥) وتكون هذه الحروف مفتوحة أو ساكنة، ومثَّل لها ابن الحاجب بالصَّلَاة، ويصلُّون^(٦).

وعلة التَّفخيم - هنا - أنَّ حرف الإطباق مفخَّم؛ فتفخَّم اللام لأجلها؛ ليكون العمل من وجه واحد^(٧).

وينبغي التَّنبيه إلى أنَّ التَّفخيم لازم للاستعلاء؛ فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، ومن ثمَّ فحروف الإطباق أبلغ في التَّفخيم من باقي حروف الاستعلاء. وتُرْتَب حروف الاستعلاء من حيث قوَّة التَّفخيم على النَّحو التَّالي:

١ - الطَّاء.

(١) الأصوات اللغوية ٦٤-٦٥.

(٢) الحروف والأصوات في ضوء الدِّراسات الصَّوتيَّة الحديثة ٨.

(٣) البقرة ٥٩.

(٤) البقرة ١١٤.

(٥) البقرة ٣.

(٦) شرح الشَّافية لابن الحاجب ٣/٢٥٥.

(٧) الكشف ١/٢١٨.

٢- الصَّادُ وَالضَّادُ.

٣- الظَّاءُ.

٤- القافُ.

٥- الغينُ والحاءُ^(١).

أمَّا إذا تقدمت اللام وتأخر الحرف المستعلي، فإنَّها ترقِّق، يقول ابن الجزري:
"إِنْ لاصَقَهَا حَرْفٌ إِطْبَاقٌ فَبَيِّنْ تَرْقِيقَهَا، نَحْوُ: ﴿اللَّطِيفُ﴾^(١) و﴿مَا ائْتَلَطَّ﴾^(٢)
و﴿لَسَلَطَهُمْ﴾^(٤) و﴿٥﴾.

وتفخِّم اللام من لفظ الجلالة (الله) إذا سبقت بفتحة أو ضمَّة، من نحو قوله
تعالى: ﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾^(٦) و﴿قَالَ اللَّهُ﴾^(٧).

وذهب القيسيُّ إلى أنَّه "ليس في كلام العرب لام أظهر تفخيماً، وأشدَّ تعظيماً من
اللام في اسم الله جلَّ ذكره؛ لأنَّها لآمان مفخَّمان؛ لإرادة التَّعْظِيمِ والإِجْلالِ، وذلك
إذا كان قبل الاسم فتحَّ أو ضمَّ فإذا كان قبله كسر رقت اللام في نحو: في الله
وبالله"^(٨).

(١) جهد المقل ١٥٤-١٥٥.

(٢) الأنعام ١٠٣.

(٣) الأنعام ١٤٦.

(٤) النساء ٩٠.

(٥) التَّمْهِيدُ ١٤٣.

(٦) الأنعام ١٢٤.

(٧) المائدة ١١٩.

(٨) الرعاية ٢٥٨.

وزهب أبوحيان إلى قصر التّفخيم في اللام على لفظ الجلالة؛ إذا كان ما قبلها مفتوحاً أو مضموماً^(١).

ولا يمكن التّسليم بذلك لورود صور أخرى وردت فيها اللام مفخّمة. وينبغي التّنبيه إلى الحركة في مسألة التّفخيم والترقيق؛ فإذا كسرت اللام، أو ضُمَّت، أو سكنت، وكذلك إذا انضمَّ الحرف المستعلي، أو كسر، فإنّها ترقّق، ولا عبرة بالحرف المستعلي قبلها؛ وعلة ذلك أنّ التّفخيم إشباع فتح، ولا يشبع الفتح في حرف مكسور أو مضموم؛ لما في ذلك من الكلفة في الخروج من التّسفل إلى التّصعد، وفي ذلك جمع بين الشّيء وضده^(٢). ولم يبق إلا أن تكون اللام مفتوحة مفتوحاً ما قبلها، أو ساكنة مفتوحاً ما قبلها من نحو: (الصلاة) و(يصلون) فإنّها والحالة هذه تُفخّم. وإنّها تُفخّم اللام إذا كانت مفتوحة؛ لأنّ الفتحة مواخية للتّفخيم، ولأنّها من الألف ولأنّ الفتحة مستعلية في المخرج كحروف الاستعلاء؛ لأنّها من الألف، والألف يخرج من هواء الفم، فعامل اللام بالتّفخيم مع الفتح وحرف الإطباق قبله؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً. فلمّا تغيّرت اللام عن الفتح رجع إلى الأصل وهو التّرقيق^(٣).

أمّا اللام من لفظ الجلالة فقد بيّن الدّاني مواضع تفخيمها وترقيقها؛ حيث قال: "فأمّا اللام من اسم (الله) عزّ وجل فالجميع مجمعون على ترقيقها مع الكسرة من أجلها، عارضة كانت أو غير عارضة، نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾^(٤) و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٥) و﴿يَا أَيُّهَا﴾^(٦)

(١) ارتشاف الضّرب ١ / ١٣.

(٢) الكشف ١ / ٢٢٠.

(٣) نفسه

(٤) الفاتحة ١.

(٥) الفاتحة ٢.

(٦) البقرة ٦١.

﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾^(١) و﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) و﴿بَلِ اللَّهِ﴾^(٣) و﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾^(٤)، وما أشبهه فإن وليها فتحة، أو ضمة أجمعوا على تغليظها من أجلها، نحو: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾^(٥) و﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾^(٦) و﴿مِنَ اللَّهِ﴾^(٧) و﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾^(٨) و﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾^(٩) و﴿وَسَلُّوا﴾^(١٠) و﴿وَسَلُّوا لِلَّهِ﴾^(١١) و﴿قَالُوا اللَّهُمَّ﴾^(١٢). وما أشبهه فإن كان الحرف المفتوح أو المضموم قبلها لاما لخص ترفيقها، وفحمت هي، نحو: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ﴾^(١٣) و﴿أَجَلَ اللَّهُ﴾^(١٤) و﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾^(١٥) و﴿فَضَّلَ اللَّهُ﴾^(١٦) وما أشبهه" ^(١٦).

(١) الأنعام ١٢٤

(٢) الأَخْلَاصُ ١، ٢.

(٣) آل عمران ١٥٠

(٤) آل عمران ٢٦

(٥) المائدة ١١٥

(٦) النحل ٧٥

(٧) البقرة ١٣٨

(٨) يونس ١٠

(٩) الأنعام ١٢٤.

(١٠) النساء ٣٢.

(١١) الأنفال ٣٢.

(١٢) البقرة ٢٧٥.

(١٣) نوح ٤.

(١٤) النساء ٨٨.

(١٥) النساء ٨٣.

(١٦) التَّحْدِيدُ ١٦٠-١٦١.

المبحث الثامن: الرّاء المرقّقة

تعدّ الرّاء المرقّقة من الحروف الفرعية المستحسنة^(١)؛ إذ هي فرع عن المفخّمة عند الجمهور^(٢). وعلة ذلك تمكّن الرّاء في ظهر اللّسان، فقربت بذلك في الحنك الأعلى الأعلى الذي تتعلّق به حروف الإطباق، إلى جانب تكرير الرّاء ممّا زاد من تمكّنها. وذهب د. إبراهيم أنيس إلى أنّ الكثرة فيما ورد من الرّاءات جاءت مفخّمة؛ وذلك لشيوع الفتحة؛ حيث تبلغ نسبة شيوعها في العربية حوالي ٤٦٠ في كلّ ألف من الحركات قصيرها وطويلها، في حين أنّ الكسرة حوالي ١٨٤، والضّمة ١٤٦^(٣). وذكر ابن الجزري أنّ هناك من يذهب إلى أنّ التّرقيق هو الأصل؛ إذ لو كان التّفخيم هو الأصل لما زایلها في أيّ موضع؛ كتفخيم (ص، وض، وط، وظ)^(٤) وقرّر د. حمزة قبلان المزبني أنّ أغلب الباحثين المحدثين يرون أنّ الرّاء مرقّقة الأصل، مستدلاً على ذلك بأنّ درس أيّ من اللّهجات العربيّة المعاصرة يكشف ضرورة أخذ الرّاء على أنّها مرقّقة يعرض لها التّفخيم في سياقات صوتيّة معيّنة، إلى جانب ما ذكره ابن الجزريّ من اختلاف الرّاء عن الأصوات المطبقة التي لا تفقد إطباقها في أيّ موضع بعكس الرّاء^(٥).

وذهب ابن الجزريّ إلى أنّ القول بأنّ الأصل هو التّرقيق أو التّفخيم رأي يبقى في طور الاحتمال، معللاً ذلك بأنّه لم يؤثر عن العرب نطق محايد لصوت الرّاء^(٦).

(١) الموضح في التّجويد ٨٤.

(٢) الكشف ١/٢٠٩، النشر ٢/١٠٨.

(٣) الأصوات اللغوية ٦٦، الألسنية العربية ٦٨-٦٩.

(٤) النشر ٢/١١٠.

(٥) ترقيق الرّاء وتفخيمها ص ٧-٨.

(٦) النّشر ٢/١١٠.

وكيف تصرّفت الحال، فالقول بأنَّ الأصل فيها التّريق أو التّفخيم أمر لا يمكن التّدليل عليه؛ لغياب النّشأة الأولى عنا، والأمر الذي تركن إليه النّفس هو الحكم عليه من خلال الحركات المكتنفة له، في حين لا يمكن التّعويل على الدّرس اللّهجي الحديث، والخلوص منه إلى نتائج تعمّم على عربيتنا الفصيحة؛ لغياب حجّية هذا الصّوت.

وترقق الرّاء في المواطن التّالية:

- ١- إذا كانت مكسورة نحو: "مررت بساتر وغافر"^(١) وعليه قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴿١﴾ .
- ٢- إذا كانت ساكنة بعد كسرة لازمة وليس بعدها حرف من حروف الاستعلاء، مثل: فرعون، وشرعة، ومرية^(٢).
- ٣- إذا جاءت الرّاء مفتوحة بعد ياء عند غير ورش مثل: ميراث، الخيرات، وقدير^(٤).
- ٤- إذا جاءت الرّاء مضمومة بعد ياء عند ورش، من نحو: خبير، قدير^(٥).
- ٥- إذا كانت الرّاء ساكنة بعدها ياء مفتوحة يجوز فيها الوجهان مثل: مريم، وقرية^(٦).

(١) الكشف ١/ ٢٠٩.

(٢) غافر ٢، ٣.

(٣) الكشف ١/ ٢٠٩، الإقناع ١/ ٣٢٧، النشر ٢/ ٩٣، ١٠٣، الأصوات اللغوية ٦٥.

(٤) الكشف ١/ ٢١٠، النشر ٢/ ٩٣، الأصوات اللغوية ٦٥.

(٥) الكشف ١/ ١٠٩، الإقناع ١/ ٣٢٧.

(٦) الكشف ١/ ٢٠٩.

أما عن تفخيم الرّاء، فلا تخلو الرّاء من أن تكون ساكنة أو متحرّكة، فإن سكنت وسبقت بفتحة أو ضمة كقوله ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿كُرْسِيِّهٗ﴾^(٢) أو جاءت بعد كسرة ووليها حرف استعلاء مفتوح كقوله تعالى: ﴿مِرْصَادًا﴾^(٣) و﴿رَفْرَفِي﴾^(٤) و﴿فِرطَاسٍ﴾^(٥) وكذلك إذا سبقت بكسرة عارضة أو من كلمة أخرى كقوله تعالى: ﴿يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾^(٦) فتغلظ الرّاء؛ لأنّ الكسرة التي قبلها في كلمة أخرى فإن ابتدأت بـ ﴿أَرْكَبَ﴾ غلظت الرّاء أيضا ذلك أنّ الابتداء عارض وألف الوصل غير لازمة فضعفت كسرتها ولم تعمل في الرّاء^(٧). أمّا إذا كانت متحرّكة، فإنّها تفخم إذا جاءت مفتوحة بعد حرف من حروف الاستعلاء الآتية (ق، ص، ط)؛ كقوله: ﴿إِصْرَهُمْ﴾^(٨) و﴿فِطْرًا﴾^(٩) و﴿وَقَرًا﴾^(١٠) ولأجل حرف الاستعلاء لم يلتفت يلتفت إلى الكسر اللازمة قبل الرّاء^(١١).

(١) آل عمران ٥٥.

(٢) البقرة ٢٥٥.

(٣) النبا ٢١.

(٤) الرحمن ٧٦.

(٥) الأنعام ٧.

(٦) هود ٤٢.

(٧) الكشف ١/٢١١، الإقناع ١/٣٢٦، النشر ٢/٩٢، ترقيق الرّاء وتفخيمها في القراءات القرآنية، مجلة

كلية الآداب جامعة الملك سعود ١٤٠٨، ١٥ مج ١٤٠٨، ص ١٥.

(٨) الأعراف ١٥٧.

(٩) الكهف ٩٦.

(١٠) الذاريات ٢.

(١١) الإقناع ١/٣٢٦.

كما تَفَحَّم إذا جاءت مفتوحة أو مضمومة بعد فتحة، أو ضَمَّة، أو كسرة عارضة كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾^(١) وفي الضَّم ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٢) وفي الكسر العارض كقوله^(٣) ﴿رَأْسِ أَخِيهِ﴾^(٤) كما تَفَحَّم إذا جاءت متحرّكة بالفتحة أو الضَمَّة وسبقت بكسرة لازمة وبعدها حرف من حروف الاستعلاء^(٥)، ومن مثل: ﴿إِعْرَاضًا﴾^(٦) ﴿الصَّرَطَ﴾^(٧).

(١) النجم ٣٠.

(٢) فاطر ٣٠.

(٣) الإقناع ١/ ٣٢٤-٣٢٦، ترقيق الراء وتفخيمها ١١-١٤.

(٤) الأعراف ١٥٠.

(٥) النشر ٢/ ٩٢، الإقناع ١/ ٣٢٥.

(٦) النساء ١٢٨.

(٧) الفاتحة ٦.

المبحث التاسع: الياء التي كالواو

وهي الياء التي ينحى بالكسرة قبلها نحو الضمّة، فتعال فيها الياء نحو الواو؛ من نحو قولهم: بيع وقيل؛ يقول سيبويه: "بعض العرب يقول: (خيف)، و(بيع)، و(قيل)، فيشتم إرادة أن يبين أنّها فُعل" (١).

أي أنّه لما كان الأصل (فُعل) بضمّ الفاء التي يدلّ ضمُّها على ما لم يسمّ فاعله أرادوا المحافظة على ذلك، فجاء الإشمام؛ للدلالة عليه، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣)؛ حيث قرأ بالإشمام الكسائي، وابن عامر بخلاف عنه، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ (٤)؛ حيث قرأ الكسائي، وابن عامر بخلاف عنه بالإشمام، كما قرأ بذلك نافع في (سيء) (٥). يقول أبو عليّ الفارسي: "حجّة من قال: (وإذا قيل لهم) (٦)، فأشتم الضمّة الكسرة، وأمال بها نحوها: أنّ ذلك أدلّ على فُعل، ألا ترى أنّهم قد قالوا: كيد زيد يفعل، وما زيد يفعل، وهم يريدون فَعَل، فإذا حرّكوا الفاء هذه التحريكة أمن التباس الفعل المبني للفاعل بالفعل المبني للمفعول، وانفصل بها، فدلت عليه، كان أشدّ إبانة للمعنى المراد" (٧).

(١) الكتاب ٤ / ٣٤٢.

(٢) سورة البقرة ١١.

(٣) سورة الزمر ٧١.

(٤) سورة هود ٧٧.

(٥) السبعة ١٤٣-١٤٤، الحجّة لأبي عليّ ١ / ٣٤٠-٣٤١، حجّة القراءات ٨٩، البحر المحيط ٧ / ١٥١،

النشر ٢ / ٢٠٨.

(٦) سورة التوراة ١١.

(٧) الحجّة ١ / ٣٤٥.

وبَيَّن الرُّضِيُّ حقيقة الإِشْهَام - هنا - بقوله: "حقيقة هذا الإِشْهَام أن تنحو بكسرة فاء الفعل نحو الضَّمَّة، فتميل الياء السَّاكنة بعدها نحو الواو قليلا؛ إذ هي تابعة لحركة ما قبلها، هذا هو مراد القُرَّاء، والنُّحَاة بالإِشْهَام في هذا الموضوع. وقال بعضهم: الإِشْهَام - هنا - كالإِشْهَام حالة الوقف؛ أعني ضَمَّ الشَّفَتَيْن فقط، مع كسر الفاء كسرا خالصا، وهذا خلاف المشهور عند الفريقيين، وقال بعضهم: هو أن تأتي بضَمَّة خالصة بعدها ياء ساكنة، وهذا - أيضا - غير مشهور عندهم؛ لأنَّ الإِشْهَام عندهم - ههنا - حركة بين حركتي الضَّمِّ والكسر، بعدها حرف بين الواو والياء"^(١).

وما ذكره الرُّضِيُّ من قول بعضهم من أن الإِشْهَام - هنا - يكون بِضَمِّ الشَّفَتَيْن فقط مع كسر الفاء كسرا خالصا، هو ما ذهب إليه د. سمير استيتية من المحدثين؛ حيث قال: "لا يوجد فرق بين الكسرة والإِشْهَام إلا في تدوير الشَّفَتَيْن عند نطق الإِشْهَام، وعدم تدويرها عند نطق الكسرة، وحقيقة نطق هذا النوع من الإِشْهَام تتمثل في أن يتقدَّم اللِّسَان إلى الأمام كوضعه الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي تلك اللَّحْظَة يتمُّ تدوير الشَّفَتَيْن، وهذه هي الكيفيَّة نفسها التي يتمُّ بها نطق الحركة المعياريَّة الثَّانويَّة الأولى"^(٢).

ويكون اللِّسَان معها في وضع النُّطْق بالضَّمَّة، وتكون الشَّفَتَان قد اتَّخَذتا وضع النُّطْق بالكسرة^(٣).

(١) شرح الرُّضِيِّ على الكافية ٤ / ١٣١.

(٢) القراءات القرآنيَّة بين العربيَّة والأصوات اللُّغويَّة ٤٩.

(٣) في الأصوات اللُّغويَّة دراسة في أصوات المدِّ ١٧١.

ويرمز لها بالرمز (Y)^(١)؛ وهذه الحركة هي نتيجة تماثل غير تام بين الصّمة، والكسرة^(٢).

ووصفت هذه اللّغة بالقلّة، ورغم قلّتها فقد وُصفت بالفصاحة^(٣).

وعلّل د. سمير استيتيّة لصورة الإشمام في قيل وغيض وما يتبعه من ميل الياء نحو الواو؛ حيث أثرت القاف والغين في الياء، وذلك أنّ القاف والغين صوتان خلفيّان، وحجرة رنين كلّ واحد منهما في الجزء الأمامي من الحجرة الفمويّة، في حين أنّ الياء صوت أمامي، وحجرة رنينه في الجزء الخلفي من الحجرة الفمويّة. فلمّا كان هذا يحتاج إلى شيء من الجهد أشمّت الياء ضمّاً، وهي ما يعرف بالحركة المعياريّة الثانويّة الأولى. ولهذا الحركة حجرتا رنين إحداهما أماميّة والأخرى خلفيّة^(٤).

(١) الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة ١٤٨.

(٢) الإشمام الظّاهرة ومفهوم المصطلح، مجلّة الدّارة ع ٢ السنّة ٢٠ ص ٢٠١.

(٣) شرح الرّضي على الكافية ٤ / ١٣١.

(٤) القراءات القرآنية بين العربيّة والأصوات اللغوية ٢٠٧.

المبحث العاشر: الواو التي كالياء

وهي الواو التي ينحى بالصَّمَّة التي قبلها نحو الكسرة، فتمال الواو نحو الياء، من نحو قولهم: مذعور، وابن بور^(١). وهو قريب من الياء التي كالواو؛ لذلك وصفها ابن جنِّي بأنَّها كالصَّوْت الواحد^(٢).

وجعل ابن جنِّي هذا الباب أقلَّ من سابقه، وهو الياء التي كالواو^(٣). وذهب د. حسام سعيد النعمي إلى أنَّها صوت واحد^(٤). وتابعه في ذلك د. إبراهيم الشَّمسَان معللاً لذلك بأنَّه لا فرق بينهما من النَّاحِيَةِ الصَّوْتِيَّة، وأنَّها نتيجة تماثل غير تام بين الصَّمَّة والكسرة^(٥).

والحقيقة أنَّها صوتان مختلفان لا صوتا واحدا، يدلُّ على ذلك اختلاف حركة أعضاء النُّطق بهما؛ فالواو التي كالياء يكون اللِّسَان معها في وضع النُّطق بالواو، وتكون الشَّفْتَان قد اتَّخذتا وضع النُّطق بالكسرة، ويرمز لها بالرَّمز (w)^(٦). في حين أنَّ الياء التي كالواو ليست على هذه الصُّورة^(٧).

وذهب أبو عليِّ الفارسيِّ إلى أنَّ هذا الصَّوْت جاء لنوع من المشاكلة مع صوت الرَّاء المكسورة؛ حيث قال: "هذا ابن عور، وابن بور فأمالوا هذه الصَّمَّات نحو الكسرة؛ لتكون أشدَّ مشاكلة لما بعدها، وأشبه به، وهو كسر الرَّاء"^(٨).

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ٦٠-٦١.

(٢) الخصائص ١ / ١٢١.

(٣) سرُّ صناعة الإعراب ١ / ٦٠-٦١.

(٤) الدِّراسات اللَّهْجِيَّة والصَّوْتِيَّة عند ابن جنِّي ٢٣٧.

(٥) الإشمام الطَّاهرة ومفهوم المصطلح، مجلَّة الدَّارة، ع ٢، السَّنَة ٢٠، ٢٠١.

(٦) في الأصوات اللُّغويَّة دراسة في أصوات المدِّ العربيَّة ١٧١، الدِّراسات الصَّوْتِيَّة عند علماء العربيَّة ١٤٨.

(٧) ينظر المبحث التاسع.

(٨) الحجَّة للقراء السبعة ١ / ٣٤٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق وأعان على إتمام هذا البحث، وفي نهاية المطاف أعرض أهم النتائج التي وصل إليها البحث، وهي:

- الحروف الفرعية هي حروف غايرت الأصلية، ونشأت عنها بكيفية مختصة، وليس شرطاً أن يكون الحرف الفرعي متولّداً من حرفين.

- تصنيف الحروف الفرعية إلى مستحسن ومستقبح راجع عند القدماء لمبدأ الكثرة والقلة؛ فما كثر استعماله كان مستحسناً، وما قلّ وصف بالاستقبح. كما أنّ المستحسن تستحسن قراءة القرآن ورواية الشعر به، في حين أنّ المستقبح ليس له ذلك.
- وصف الحروف الفرعية بالاستحسان أو الاستقبح أمر يرفضه الدرس اللغوي الحديث.

- تمثل الحروف الفرعية ألواناً من الأداء يعكس اختلاف القبائل العربية في أدائها، وهي من صور الأداء المعروفة، ممّا جعل العلماء يعنون برصدها، وبيان خواصّها الصوتية.

- خلصت الدراسة إلى أنّ الحروف الفرعية المستحسنة عشرة أصوات ليس لها صور خطية تميّزها عن أصولها.

- جاءت هذه الحروف لإحداث نوع من التناسق والانسجام في البنية الصوتية.

قائمة المراجع

الكتب المطبوعة:

١. القرآن الكريم.
٢. إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع للإمام الشاطبي (٥٩٠هـ) تأليف الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥) تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٣. إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر المسمّى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات، تأليف: الشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي (١١١٧هـ) حققه وقدم له د/ شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
٤. الإتيقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٥. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي - أبو عمرو بن العلاء د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
٦. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية. د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ.
٧. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د/ رجب عثمان محمد، ط ١، مطبعة المدني، ١٤١٨هـ.
٨. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق د/ زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، وعالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
٩. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا، ود. حامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.
١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ١٩٨٢م.
١١. الإيضاح في شرح المفصل. لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، (٦٤٦هـ) تحقيق د/ موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف، بغداد.

١٢. البحر المحيط. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
١٣. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) تحقيق علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي ١٩٧٦ م.
١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
١٥. الحجّة في القراءات السبع. لابن خالويه، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، ط ٦، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ.
١٦. الحجّة للقراء السبعة. لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي (٣٧٧ هـ) تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
١٧. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، د. حسام سعيد النّعيّمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠ م.
١٨. دروس في علم أصوات العربية. جان كانتينو، ترجمة صالح القرماذي، الجامعة التونسية، نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٦ م.
١٩. الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق د. أحمد حسن فرحات، ط ٢، دار عمار، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
٢٠. السّبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٢، دون تاريخ.
٢١. سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنّي، دراسة وتحقيق د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٢٢. السّيرافي النّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه. دراسة وتحقيق د/ عبدالمنعم فائز ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٢٣. شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٢٤. شرح صوتيات سيبويه دراسة حديثة في النظام الصوتي للعربية من خلال نصوص كتاب سيبويه تأليف د. عبدالمنعم الناصر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م.
٢٥. شرح المفصل للشيخ موفق الدين يعيش علي بن يعيش المعروف بابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي بالقاهرة، دون تاريخ.
٢٦. الصّاحبي: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق السيّد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧. الكتاب. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٧هـ.
٢٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق د/ محيي الدّين رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٢٩. لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ) دار صادر بيروت ط٦، ١٤١٧هـ.
٣٠. اللّغة. ج فندريس، تعريب عبدالحميد الدّواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.
٣١. لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر. د. عيد محمد الطيب، ط١، ١٩٩٤م.
٣٢. اللّهجات العربيّة. د. إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
٣٣. اللّهجات العربيّة في التّراث: د/ أحمد علم الدين الجندي، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٣٤. اللّهجات العربيّة في معاني القرآن للفراء دراسة نحوية و صرفية ولغوية د. صبحي عبدالحميد محمد ط١، دار الطباعة المحمدية القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٣٥. اللّهجات العربيّة نشأة وتطورا: د/ عبدالغفار حامد هلال، ط٢، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٣٦. اللّهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية: صاحبة راشد آل غنيم، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التّراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٧. المحتسب في وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنّي، تحقيق علي النجدي ناصف ود/ عبدالحليم النجار ود/ عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م.
٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب، ١٣٩٥ هـ.
٣٩. معاني القرآن. للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د/ عبدالأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.
٤٠. معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م.
٤١. المقتضب. أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق محمّد عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، من دون طبعة، ومن دون تاريخ.
٤٢. المقرب، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي (٦٦٩هـ) تحقيق أحمد عبدالستار الجوّاري، وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م.
٤٣. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الدّاني، تحمّ محمد صادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهية، بالقاهرة، ١٩٧٨ م.
٤٤. النّشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، من دون طبعة، من دون تاريخ.
٤٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدّين السيوطي (ت ٩١١هـ) الجزء الأول تحقيق عبدالسلام هارون وعبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، الجزء الثاني تحقيق عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، وبقية الأجزاء (٣-٧) تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٧هـ-١٤٠٠هـ.
- المجلات والدوريات المحكمة:**
٤٦. أثر اللهجة المحلية في كتاب عبث الوليد لأبي العلاء المعري. أ.د. عبدالنواب مرسي حسن الأكرت. مجلة كُليّة اللُّغة العربيّة بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد ٢٣. عام ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م.

٤٧. إشباع حركات الأبنية في الشعر وموقف النحاة منه. د. محمّد حماسة عبد اللطيف، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، ج ٤٠، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م.
٤٨. التّفكير الصّوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جنبي، د. الأب هنري فليش، تعريب وتحقيق د. عبد الصّبور شاهين، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، ج ٢٣، الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.
٤٩. العلة الصّوتية في السّبعة لابن مجاهد في الدّرس الصّوتي الحديث. د. حمدي صلاح الهدهد، المؤتمر الدولي الخامس لتسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ م.
٥٠. مسائل في مصطلحات التّجويد، د. عبد الرّحمن الحاج صالح، مجلّة اللّسانيّات، معهد العلوم اللّسانية والصّوتية، جامعة الجزائر، ع ٦، عام ١٩٨٢ م.
٥١. مسطرة اللّغويّ د. إبراهيم أنيس، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، الجزء التّاسع والعشرون، الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م.
٥٢. المشاكلة والتّماس الخفّة من أصول العربيّة، مجلّة كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة بجامعة الملك عبدالعزيز، السّنة الثّانية، العدد الثّاني، ١٣٩٦هـ / ١٣٩٧هـ.

الرسائل الجامعية:

٥٣. العلاقة بين أحرف الصّفير وأثرها في اللفظ والمعنى دراسة في تاريخ الكلمة العربيّة.
٥٤. مقبل علي الدّعدي، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كليّة اللّغة العربيّة، ١٤٢٧هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦٣٨	المقدمة.
٦٤٠	التمهيد: مفهوم الحروف الفرعية وأنواعها.
٦٤٦	المبحث الأول: النون الخفيّة.
٦٥٤	المبحث الثاني: ألف التّفخيم.
٦٦٠	المبحث الثالث: ألف الإمالة.
٦٦٧	المبحث الرابع: همزة بين بين.
٦٧٥	المبحث الخامس: الشّين التي كالجيم.
٦٧٨	المبحث السادس: الصّاد التي كالزّاي.
٦٨٣	المبحث السابع: اللام المفخّمة.
٦٨٨	المبحث الثامن: الرّاء المرفّقة.
٦٩٢	المبحث التاسع: الياء التي كالواو.
٦٩٥	المبحث العاشر: الواو التي كالياء.
٦٩٦	الخاتمة.
٦٩٧	قائمة المراجع.
٧٠٢	فهرس الموضوعات.

